إلى القارئ

حول عقدة « العرجون »

بقلم : البشير بن سلامه

في يوم 16 افريل 1985 اشرف الاستاذ محمد مزالي بقصر المؤتمرات بتونس على حفل تم فيه تكريم ثلة من رجال الثقافة الذين تالقوا في سنة 1984 بانتاجهم ولقوا من الحظوة لدى الجمهور ما جعلهم يستحقون التكريم والتبجيل . وقد ضم هذا الحفل المتحصلين في هذه السنة على الجوائز التقديرية ـ وهي جوائز تمنحها وزارة الشؤون الثقافية لأول مرة في عدة ميادين ثقافية ـ وكذلك من دابت هذه الوزارة منذ سنوات على اجازتهم في نطاق التشجيع على النشر . وبهذه الصورة يكون المبرزون في هذه السنة ما يقرب من ثلاثين مثقفا وهو عدد هام جدا بالنسبة الى جملة المنتجين في حقول الثقافة في بلادنا . وعلاوة على هذا فان تكريم ثلة اخرى ممن عينوا في خطة مستشاري الشؤون الثقافية يعد ايضا ضربا من الاجازة اذ اريد بهذه الخطة تمكين عدد من المثقفين الذين ضحوا في سبيل الثقافة منذ نشاتهم من ان تكون لهم ما يمكنهم من العيش الكريم الى آخر حياتهم ومن الاستمرار في الانتاج وخدمة الثقافة بدون عناء ولا عنت .

ثم ان هذه اللفتة من الحكومة الى الخلاقين والمبدعين ليست هي الوحيدة بل ان كثيرا من الهيئات والجمعيات والبلديات لم تنفك تحدث الجوائز وتكرم البارزين من المثقفين في عدة مناسبات علاوة على ما وجده هؤلاء من فرص الخلق والابداع نتيجة احداث صندوق التنمية الثقافية الذي حرك ميدان النشر

وسمح للمؤلفين بالاقبال بانفسهم على طباعة تآليفهم كما فتح آفاقا لكثير من دور النشر التى كانت على وشك الافلاس ومكن المسرحيين والموسيقيين والفنانين التشكيليين والسنمائيين من الامل فى ابراز انتاجهم وترويجه بايسر السبل .

وهكذا فانه ليس فى الامكان اليوم ـ وقد نفقت فى تونس سوق الكتاب واقبل الفنان على الانتاج بامل وجد ولاقى المثقفون التبجيل والتكريم ـ أن يتمادى البعض لأسباب يجب التعمق فيها والكشف عنها ، فى ترديد أغنية « العنقود » أو « العرجون » وفى بكاء حظ الاديب أو الفنان العاثر وفى لوك مقولة عدم التشجيع .

وإنه لا بد من تفريك عقدة « العرجون » أو « العنقود » والاحاطة بهذا الموضوع حتى لا يبقى الالتباس مجالا للتمادى فى بذر الشكوك والاوهام فى نفوس الجماهير وخاصة الشباب والطلبة وحتى لا تبتلى بهذه الآفة التى اصبحت رائجة اليوم وتعد من باب « العلم » و « المنهجية العلمية » وهى التشبث ببعض « المقولات » أو « الايديولوجيات » الخارجة عن السياق التاريخى او « المناخ البيئوي » أو الجغرافيا التى تلصق الانسان بالارض التى يضع عليها ارجله والسماء التى ينظر اليها باعين مجردة من كل نظرة مشبوهة للواقع .

إن اغنية « العنقود » هذه أو « العرجون » هى تلك التى اختطفها بعض الباحثين او النقاد من فقيد الأدب علي الدوعاجي الفنان بحق الذى قال فى هذا الباب :

« عاش يتمنى فى عنبه   مات جابولو عنقود
ما يسعد فنان الغلبه   إلا من تحت اللحود »

ونظم الدوعاجي هذه الأغنية انطلاقا من مثل قديم كان يردد فى الاوساط الشعبية ويقول : « عاش اشتهى بسرة مات علقولو عرجون » . وكان هذا المثل يقال فى العقوق الذى يجده صاحب الفضل من مجتمعه واهله . ولم يكن

الدوعاجي يقول هذا متجها فقط الى أهل الحل والعقد فى البلاد بل الى الجمهور الذى لايعرف حق الفنان ولا يبوئه مكـانة عاليـة فى المجتمع بل كان يسمي الفنان « قلاديمة » ويسمي نفسه كذلك وهى حسب قوله : « ذلك العبد الأسود الذى يعاضد العمال فى أشغالهم المرهقة بالترنم والغناء والموسيقى ليسليهم وليخفف عن كواهلهم اثقال الحياة وقسـاوة الشغـل واستغـلال البرجوازية والمستعمر لهم » وهو يعتقد أن ذلك الترنم هو عمل أيضا .

فالدوعاجي إذن كان ثائرا ضد تصور المجتمع المتخلف للفنان عندما يكون حيا منتجا فلا يفطن بقيمة فنه ولا يوليه العناية الكافية . وهذه العناية يجب ان تظهر لا فى التكريم والتبجيل فقط بل فى اعتبار ما يقوم به الفنان عملا جديرا بالتنويه وفى مستوى الاعمال التى يقوم بها المنتجون فى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . الم يقل مثل هذا كثير من الادباء القدامى سواء فى الادب العربى أو الاوربى !؟ فقد قال الاخوة « قنكـور » : « العبقرية هى ابداع إنسان ميت » ثم هل نحن نمضي الى حد قـول الكـاتب المبـدع « مـارسيل بانيول» : «إن أسطورة العبقرية المغبونة خلقت وتعهدت بحلق من قبل الكتاب الذين غرقوا فى الرداءة وقبعوا فى كل العصور فى الظل والخصاصة » ؟

معاذ الله أن يكون الدوعاجي كاتبا رديئا ولم يكن من أولئك الذين سخطوا على الحياة وتبرموا بها بل كان كلامه وعيشه يقطر مرحا وهزلا وغاية ما كان يريده هو المكانة التى يجب أن يجدها الكاتب والفنان فى المجتمع اى أن يكونا فى مرتبة مرموقة يعتز بها المجتمع لا فئة قليلة من الاصدقاء والعارفين ولم يكن القصد من كلامه هو التشجيع المادى والغنم المالى بل انما كان يناضل من اجل ان تكون منزلة الاديب والفنان فى قمة هرم المجتمع ولا يكون مغلوبا على امره .

ولهذا فان ما يغفله البعض اليوم من ان المسـألة هى تتعلـق بالتشجيـع والتبجيل والتكريم من قبل المشرفين على حظوظ الثقافة فهو قد اخطا الحساب إذ الأمر يبقى قائما وقد نال المثقف ما يرغبه من التشجيع المـادي والأدبـي : وهو ما هو دور الخلاق والمبدع لدى جمهور الناس ؟ ما هى المكانة التى يعطيها

المجتمع للفنان العبقري؟هل انه يميز ـ حقيقة ـ بين الفنان الجيد والعبقري وبين الرديء والانتهازي ؟ هل ان التونسي ما يزال ينظر الى خارج بلاده يقدس كل من ياتيه من بلد آخر ويغمض عينيه على من هو بالقرب منه وهو ربما أعلى مستوى واكثر عمقا وقيمة ؟ هل ان التونسي يوفر باقباله على الانتاج الثقافي ودفعه الثمن اللائق امكانية استمرار الانتاج من دون تدخل الدولة او السلط ؟

هذه اسئلة عدة تحتاج الى النظر وتفرض على النقاد والباحثين ان يتعمقوا فى الاجابة عنها بكل موضوعية وواقعية .

فالنقاد من واجبهم أن يخرجوا عن صمتهم وياخذوا على عاتقهم تقييم الانتاج الثقافي بالتنويه بالمحسن والتنديد بالمسيء من دون الظهور بمظهر من يتتبع السقطات فقط او من لا يرى الا الحسنات بل نحن فى انتظار بروز تلك الفصيلة من النقاد التى تنظر وتقيم انطلاقا من واقعنا وتاريخنا وتقاليدنا . اما الباحثون فانهم من الواجب ان يقلعوا عن الغرق فى النظريات والمذاهب والايديلوجيات التى تفيد بالتعرف اليها وتمحيصها ولكنها لا تفيد اذا نحن اردنا أن نضيع انتاجنا فى قوالبها لنتبين هل هو جيد ؟ او غير جيد ؟ او هل هو جدير بالدرس والبحث ام غير جدير ؟

إن هذه الأسئلة وما يحف بتفريك عقدة « العرجون » او « العنقود » تحتاج الى نظر اعمق مما قدمت ولكن هذه الافتتاحية إنما هي تحريض .. وليست إلا مقدمة لما يمكن ان يلهم الكتاب والنقاد والدارسين والباحثين الى ما يجب الخوض فيه. فلعل هؤلاء سيشمرون عن ساعد الجد ولا يتركون الساحة الثقافية من حيث النقد والتقييم يطغى عليها اولئك الذين حذقوا الصراخ واستعاضوا عن الأدب بسوء الأدب .

البشير بن سلامة

الأصالة

بقلم : محمد مزالي

أيتها السيدات ، أيها السادة ،

أيها الاصدقاء الافاضل ،

ان الحقيقة مذاقها ــ كما تعلمون ــ منعش فلن أسكت عنها ، حتى ولو كانت تتعلق بي أنا وكان « الأنا » على حد قول باسكال ، بغيضا في بعض الاحيان .

وفي هذا المساء لن أملك نفسي لأعبر عن ابتهاجي لوجودي بينكم في هذا الاجتماع اللطيف (*) .

وانه لمن حسن الطالع ان يلتئم هذا الحفل ، حفل الصداقة ، مع اطلالة العام الجديد . واني لاغتنم هذه الفرصة لأعرب لكم ولذويكم ، وكذلك لتونسنا الجميلة ، العريقة في المجد عن أجمل التمنيات والأماني .

انما الى بلدي يتجه تفكيري عندما تجد مؤلفاتي او اقوالي او أعمالي من العناية ما يستوجب الاهتمام ويلفت الانتباه .

ذلك انني قد تعلمت شخصيا من خلال حواري العميق والمتواصل مع جذور شعبنا الحضارية كيف أتجذر وأن أكافح بكل قواي ضد كل أشكال الاجتثاث الثقافي .

(*) هذا هو نص الكلمة التي القاها الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول ومدير مجلة «الفكر» في الحفل الذي اقيم بمناسبة صدور كتاب «**مزالي الأصالة**» وذلك يوم 3 جانفي 1985 .

وهكذا تعلقت ببلادى منذ أن فتحت عيني على شواطئهــا الــرائعة الخــلابة يهدهدها نغم ينبعث من الاعماق وقد سحرني بشدوه وجعلني أستطيبه منذ عهد الصبا الباكر ، حينما كنت أجوب شاطىء « القراعية » بالمنستير ، وعندما كانت ايقاعات الارض تتمازج في اتساق مع موسيقى الامواج .

تعلقتها ايضا عبر تجربتي في الحياة ومن خــلال تنــوع منــاظر طبيعتهــا بملامحها الهادئة ونزوعها الى الصفاء والاشراق ، كلمــا كانــت بمنجــاة من غضب الطبيعة وعنف الانسان .

ثم انى تعلقتها أيضا (وسابقى على ذلك ما دمت حيا) أثناء تأملاتي في تاريخ هذا البلد الأمين وهي التى أملت علي جملة من الحقائق تضاهي قيمتها قيمــة القرون التى تجلت فيها .

ومهما يكن نوع الحضارة وسواء كان صاحب العبقرية يدعى اغسطينوس أو يدعى ابن خلدون أو يوغرطا أو بورقيبه، فان تونس لا يكتب لها أن تكون بلادا تعيش الرخاء والازدهار الا اذا أنشعت ثقافتها اشعاعا لا مثيل له .

لكن كلما طغت نزعة التعلق بالمصلحة الفردية على مقتضيــات التضــامن الاجتماعى فان المواجهات تطل بقرونها والاضطرابات تلوح بوادرها فى الافق والقلق تجاه المستقبل يسود العقول ويساور النفوس .

وأود ، أن سمحتم ، ان اورد حقيقتين أخريين لا تقلان اهمية عما سبقت الاشارة اليه استجليتهما من انصاتي الى تراوح ايقاع موسيقى القرون وهما :

ــ أولا : الوطنية ، وهى تتمثل في التبصر الدائم اليقظ ، والشجاعة في ممارسة الحياة اليومية وتحــدى ريب الدهــر وفي الايمــان الذى لا يتزعــزع بمصيــر الأمــة .

ــ ثانيا : العظمة الكامنة في اقامة هذا التــوازن الذى لا يبقى في نشــوء مستمر بين ما تقتضيه سلطة الدولة من روح رصينة متزنة وبين ما تفرضه الحريات الاساسية من ممارسة مسؤولة .

ولا إخالنى ميالا ذات يوم الى تناسي هذه العبر البليغة التى استخلصتها من الماضى . على أن الماضى ان هو بقي بالنسبة إلي مرجعا حيا الا انه لم يفض بي البتــة الى الارتباط به وتقديسه تقديسا أعمى بل إنه بقدر ما كان يمثل حاضر الامس ، فانه لم يحد بي اطلاقا لا عن حاضر اليــوم ولا عن التزاماتي التى يفرضها السلوك اليومي ولا عن المجهــود المتجــدد كل صبــاح لاعــداد المستقبــل .

واسمحوا لى بان أؤكد أمامكم : ان هذا هو الذى أسميه بالذات: «الأصالة».

وفى الحقيقة فان الامر يتعلق بترابط مثمر بين الزمن الماضى (الذى أورثنا أفضل ما عنده أى طاقته الخلاقة) والزمن القادم الذى يتطلب منا طاقة متجددة على الدوام ، وعزما ثابتا ، ويقتضى التعلق بصفاء الامور وشفافيتها بعيدا عن المظاهر الخادعة .

ها أنتم ترون فى هذا اليوم رجلا لا يخفي تاثره حين تقدم له باقة زهور . وان هذه الزهور ــ وهو ما أود تأكيده للسيد المنصف القيطونى وللفريق الكندى النشيط الذى يحيط به ــ ستبقى يانعة فى نفسى ، عالقة بذهنى أبد الدهر .

وما ذلك الا لانها عابقة بشذا ذكرى عهد محبب الى قلبى كنت فيه مدرسا ومربيا . ولانها عابقة بذكرى مراحل حياتى النضالية وبالافراح التى أضفتها علي مختلف المسؤوليات التى تحملت أعباءها .

وانى لأجد فيها سحر قصة ترويها على مر السنين ملامح الاشخاص وتضاريس الاشياء . وانها لتتيح لى فرصة اللقاء بخلان أعزاء علي عرفتهم فى عهد الطفولة أو المراهقة وبرفاق زاملتهم فى الدراسة وبتلاميذ بقوا عزيزين علي ، وكذلك باخوان عملوا معى أثناء النضال وبعدد من معاونى الاوفياء ، كما أنها سمحت لى أيضا بالالتقاء باخوان لا يشاطروننى الرأى لكنهم يقبلون النقاش المثمر .

ولعمرى فان فى كل ذلك ما يشرح الصدر ويقدح بالفكر قادح .

فشكرا جزيلا لتلميذى الاسبق المنصف القيطونى وكذلك للآنسة صولنج دى لورم .

وشكرا جزيلا أيضا لكل الذين أقدموا على تحمل المشاق لحضور هذا الحفل الذى لا يقبل عليه من آثروا القبوع فى عقر دارهم ومن فترت عزيمتهم ، وشكري مجددا لمن تجرأوا على تقديم أجل شواهد الصداقة والمودة الا وهو : الاصداع بالحقيقة .

محمد مزالي

في ذكرى الشابي

شعر: محمود خليفه غانم

أيها الزورقُ يا إلفَ وجودي ... اعبرِ النيلَ .. وجاوزْ بي حدودي
واسلكِ البحرَ إلى الآفاقِ ، واسبح ... طائرًا يشدو بأنغامِ الخلودِ
لستَ يا زورق أصداءً وظِلاً ... إنما أنت رفيقي في الوجودِ
لستَ يا زورق لي إلا براقًا ... أمتطيه ، وأغنّي من قصيدي
إن لي أجنحةً كالطير تعلو ... بي – كما شئتُ – إلى الأفق البعيد
أنت قد علمتني والموج حولي ... كيف أطوي البحرَ بالروح العنيد
إنني ساع إلى شاعر شعبٍ ... خصّه الله بأنغامٍ وعودِ
أنطق العودَ بأوتار وغنّى ... – وهو معتلٌ – أغاريدَ السعودِ
حفظ القرآن في الصدر صبيًّا ... فترقّى في طريف وتليدِ
ونما كالرّوض في جنّاتِ كُتْبٍ ... وهي للشاعر محراب السجودِ
لا تسلني ما الذي انكبَّ عليهِ ؟ ... فتغذى من قديم أو جديد ؟

★ ★ ★

أمّة في شخصه كاملةٌ ... وضميرٌ من بروق ورعودِ
عانق الأحزان في موتِ أبيه ... قلبه الحساس بالحزن الشديدِ
والتكاليف التي قد أرهقته ... ضخّمت قلبا على الصدر الوحيد
ضاقت الدنيا على القلبِ ولكن ... « تونسُ الخضراء » حضن العميدِ

حام في أحضانها طيراً يغني ... تائه الأشواق في السحر الفريدِ
هيكل الحبّ دعاه ليصلّي ... للاله البارىء الفرد المجيدِ
نابغ الإحساس يا روحاً شفيفاً ... تنسج الفنّ على نول جديد
(في شعاب الكون والموتِ تمشّ ... تحت عبء العيش يا جمّ القيود)
لست إلاّ « جنّة ضائعة » ... قد حرمناها كحرمان الفقيدِ
لِمَ لَمْ تمكثْ لتستقبلني ... إنني مثلك في غربة عودي !
جلّ قومي هجروا فنّاً أصيلاً ... ورموْا كلّ أصيل بالجمودِ
عبأوا الجوّ نقيقاً ثم قالوا ... للذي أفسدهُ : « هل من مزيد ؟ »
وأعاني غربة الروح لأنني ... لست في موقع إعلام رغيد

* * *

إنه الاهمال جوزينا به من ... بعد حرمانٍ وقيدٍ منْ صدودِ
تعبث الأيامُ بالناس وتلهو ... فهي ترميهم كحبات الحصيدِ
نحن أهدافٌ لرامٍ بشظايا ... مستبدٍ مثل شيطان مريدِ
بيدَ أنّا أنفس ملهمةٌ ... قد حباها الله بالشعر العتيدِ
رغم ما نلقى فما درباً سلكنا ... غير تقوى الله والقول السديدِ
نحن أمواج ببحر العمر إن لم ... تنطلق ماتت على جسر الجمودِ
نتحدى الحزن والجسر طويلٌ ... في سبيل الحق منْ أجل الصمود
هل سوانا يفتح المجهول حرّاً ... رائياً للفجر في الليل البليدِ ؟
هل سوانا بآصر للغد طفلاً ... في حنايا الغيب من قبل الشهودِ ؟
هل سوانا يسمع البلبل يشدو ... قبل أن تسمع آذان الحشودِ ؟
هل سوانا بشّر الشعبَ بفجر ... إن أراد العيش من بعد الصمود ؟
هل سوانا كاسرٌ أصنامَ فكر ... فوق سجن الظلم من عهد عهيدِ ؟
شعلة الأحرار من يحملها ؟ ... غير فكر الشاعر الحر المُريدِ

* * *

إن شعبا كان كالشابيّ فيــــه ... شاعرٌ .. لهو جدير بالسعود
ثائرًا هبّ على الظلم كجيشٍ ... وهو فردٌ شعرُهُ خير الجنودِ
أشعل الوجدانَ في محرابِ شعبٍ ... كي يعيد المجد من أمسِ البعيدِ
ألهب القلب فغنّى وهو يحدو ... شعبه للزحفِ من كهف الركودِ
طهّر النفس لتحيا كفــــراش ... بين ورد وعلى طلحٍ نضيدِ
فهي من ريشة باريها تجلّـــت ... فوق هام الناس أو جهل العبيدِ
من جمال الكون وشّى الفكر سحرا ... في إناء الشعر كالصبح الوليدِ
ملأ الكأس بخمر النفس لكن ... أهرقت والكأس أشلاء الشريدِ
فتمنى أن يكون السيلَ والإعصا ... رَ والريح على الجذْعِ الجليدِ
ومضى يغزل آمالاً لشعـــبٍ ... وهو في بوتقة الحزن اللدودِ

* * *

ألمُ الفنان فيضٌ لنبــــوغ ... يشعل الإحساس بالفن المفيد
والشعورُ الحيُّ في الفنان نورٌ ... يكشف الدربَ إلى الفكر السديدِ
والطبيبُ الحقُّ من طبّب جرحًا ... لمريض وحمى نبض الوريدِ
أهكذا الشاعر في الأمةِ يأسو ... جُرْحها من بعد تشخيص رشيدِ
والعظيمُ الفذّ لا يقنط ممّـــن ... سخروا من رأيه ، أو من حسودِ
وإذا أعرض كلّ الناس عنه ... حسبُهُ الإيمانُ بالفجر الجديدِ
عبقريُّ الروح يحدوها طموحًا ... قد يغنّيها على درب الخلودِ

* * *

أيها الشادي الذي رنّ صـــداه ... عبر ناي الحزن باللحن السعيدِ
أيها الرسام لا يبلى رســـومًا ... رسمه من ريشة الفنّ الولودِ
أيها النحّاتُ في تجسيد معنًى ... رقّ باللفظ الموشّى بالورودِ
يا ضميرَ الشعبِ مشبوبًا يغنّي ... في ظلام الليل للفجر البعيدِ
« الخيالُ الطّامحُ الشعريُّ » يغزو ... ناقدًا للفكر خفّاقَ البنـــودِ

إن تكن أهملت حيّاً في ظلالٍ   عند وادي الموت من قبل الورود
فلقد كُرِّمْتَ رغم الموتِ حيّاً   إن حظ الشعر في العمر المديدِ
كم عظيمٍ عاش في الدنيا غريبا   وحباه الله بالنصر الأكيدِ !

★ ★ ★

التحدّي خير أسطول تخطّى   أبحر الهمّ ومرفوعَ السُّدودِ
والأديبُ الحقّ من يجتاز دنيا   واقع بالفكر والجهد الجهيدِ
للغد الآتي إذا لم يلق حظّا   من بني أمّته أو من حقودِ

★ ★ ★

يا أبا القاسم لا تحزن وصافحْ   كفّ من حياك من كلّ الوفودِ
لم تعد فينا حدود فالتقينا   هل سنقضي دَيْنَكم عن كل جيد ؟
شعب وادي النيل بالشعر حفيٌّ   و« أبولّو » لم تُقصّر في الجهودِ
لم يعنها أحدٌ إلا رفيقٌ   شاعر راد « أبولّو » من جديد
في عروق الشعر تجري روحها من   روحه عن خير قطب للمريدِ
إن يكن تجديدها نُور المعاني   فهو يُغني اللحنَ بالشعر العمودي
صار في ثغر زماني كنشيدٍ   يتغنّى بك .. فانعمْ بالنشيدِ !

محمود خليفة غانم
(القاهرة)

قضايا الأدب عند محمد مزالي

بقلم: حسني سيد لبيب
(القاهرة)

تتلمذ محمد مزالي على يد محمود المسعدي في المدرسة الصادقية سنة 1945 . لكنه يختلف مع وجهة نظره في الادب . فالمسعدي يرى أن الادب تعبير عن مأساة الانسان في صراعه مع نفسه ومع الطبيعة ، لكنه لا يصل الى ما يطمح اليه . بينما يرى مزالي ان الادب ملحمة . فالانسان اذا صحت عزيمته ، استطاع أن يقرر مصيره ويكون سيد نفسه ، ويفرض ارادته ، ولن يتأتى ذلك الا بالتضامن والتعاون والتآخي (1) . الخلاف بين وجهتي نظر الاديبين ، خلاف في الرؤية الشاملة ، بين أديب متفائل وآخر متشائم .

ان الادب ليس بالضرورة مأساة تصور قصة كفاح الانسان مع القدر ، وتصوير عجزه وضعف قدراته ، كما أنه ليس بالضرورة تعبيرا عن انتصار الانسان والحياة . فالحياة لا تسير على وتيرة واحدة ، والانسان ليس بطلا دائما وليس متخاذلا دائما ، فحياة الانسان اذا شئنا جانب الصدق الفني (2) لا تعرف الثبات على حال واحدة . في حياتنا احباط وهزائم وآمال ضائعة ، كما أن الانسان في حالة كفاح دائم ، متفائلا بحياته ، متغنيا بانتصاراته . ويرى مزالي أن الادب تصوير لكفاح الانسان ومغالبته للصعاب ، متجاوزا المآسي . انه فهم تقدمي للادب ، نابع من نفس متفائلة ، كما أشرت . فاذا ما قلنا : إن الادب تعبير عن الحياة ، فان مزالي يرى الادب تصويرا لانتصار الحياة ، مستشرفا النظرة الشابية المتغنية بالحياة وارادة الانسان . انه

---

(1) مجلة (الفكر) ـ مارس 1977 ـ حديث صحفي مع سعيد فرحات .

(2) مجلة (الاديب) ـ مارس / أبريل 198 ـ مقال (الصدق الفني في الادب) للمؤلف .

يتجاوز النظرة التشاؤمية ، ناظرا للحياة بعين الامل والتفاؤل ، انطلاقا من خطه الفكرى المؤيد لتوازنه واستقراره . فالاديب الحق قادر على استنهاض الهمم ، ورفض حالات الاحباط والاستسلام ، والتعايش مع الواقع الذى ينبغى ان يكون أفضل ما يرتجيه الانسان لنفسه ومجتمعه . فرسالة الادب عند مزالى رسالة تقدمية ، ترفض الاغراق فى الذاتية والغموض واللامعقول والعبث وما الى ذلك (3) .

ويرى مزالى فى تصوير الادب على أنه مأساة ، نفي للحرية التى وقف جل كتاباته متحمسا لها ، يقول : « ليس القول بأن الادب مأساة ، نابعا فحسب من نظرة تشاؤمية الى الكون ، وسوء ظن بامكانيات الانسان فى الخلق والتأثير على الواقع ، بل انه ، فى آخر الامر ، نفى لحرية البشر ، واقرار لتفاهتهم ، وبالتابع اعتماد على روح الاتكال والاستسلام أو ترنم بنغمة التشاكى والتباكى والتوسل (4) . فهو يناهض أدب الخيال المريض ويحبذ الادب الذى يوقظ الهمم وينمى الوعى والادراك السليم ، ويكون دافعا الى البناء والعمل والامل . ان محمد مزالى أحد الرواد التونسيين الذين حاربوا تقوقع الاديب وميوله النرجسية ، وباركوا الاديب الملتحم بقضايا شعبه وأمته ، صاحب القيم والمثل والمبادىء .

ولا يفوت مزالى التنبيه الى خطورة خلط الادب بالسياسة ، فالسياسة شؤونها عارضة ومتغيرة ، بينما الادب خلق وابداع ، يخلد عبر الاعصر والدهور ، طالما يحمل من المقومات الانسانية ما يجعله قادرا على البقاء تتناقله الاجيال والشعوب . فهو يؤكد على ضرورة التفريق بين الادب فى جوهره وسمو رسالته وبين الشؤون السياسية العارضة والشعارات المرتجلة (5) .

ثم يذهب الى ما ذهب اليه بعض الكتاب فى الدعوة الى الادب الاشتراكى . ولست — من وجهة نظرى — أؤمن بمثل هذه الدعوات . أؤمن فقط بجدوى الادب كفن راق يخاطب وجدان الانسان ، ومزالى دائم التأكيد على عدم الانصياع للمدارس أو المذاهب فى معالجة شؤون الفكر وقضاياه الشائكة مؤمنا بالفكر المتجدد المتطور . فالدعوة الى الادب الاشتراكى ، يبدو أنها دعوة عارضة نتيجة لظروف سياسية واجتماعية . ومسمى الادب الاشتراكى

---

(3) كتاب (من وحي الفكر) — ص 204/206 .
(4) المصدر السابق — ص 207 .
(5) المصدر السابق — ص 143 .

لا اراه يحمل ملامح وسمات للابداع الادبي والفكري ، بقدر ما فيه من جور على حرية الاديب ، وهل يحق لنا الزعم بوجود أدب رأسمالي يناهض نظيره الاشتراكي ؟. وما القول في أن الادب انساني بالدرجة الاولى ؟ (6) . الادب لغة للوجدان والمشاعر والاحاسيس . الادب لغة عالمية يفهمها الامريكي والروسي والافريقي والاوربي وسائر البشر . في عالم الادب الخصيب ، أستمتع بكتابات تشيكوف وديستويفسكي وهيمنجواي وساروبان وكافكا وجبران خليل جبران والشابي وطه حسين والحكيم ، وغيرهم من كافة الجنسيات واللغات . الادب – ان لم تعقه اللغة – يتخطى الحدود والاقليميات . يقول محمد مزالي : « الادب الاشتراكي يقتضي (ترشد) الاديب ونضجه وتعاطفه مع المجتمع الذي يعيش فيه ولكنه ينمو ويزدهر بمدى تجربة الادباء وعمقها وطرافتها » (7) . والقول ينطبق على الادب بصفة عامة ، سواء أكان الاديب اشتراكيا أم راسماليا أو غير ذلك من الاتجاهات والتيارات . فالادب تعبير عن الحياة ، تعبير عن الخلجات وسرائر النفوس ، تعبير عن المشاعر والاحاسيس . الادب يخاطب الوجدان ، جاعلا الانسان قضيته وشغله الشاغل .

يقول مزالي : « الواجب يدعو الى رفع مستوى هؤلاء الادباء وتنمية مواهبهم وصقل ملكاتهم حتى يثروا بدورهم الادب التونسي ويخدموا بذلك المجتمع الاشتراكي الفاضل الذي نريد » (8) . وهي مقولة صاغها فكر رجل مسؤول في الدولة ، ولم يصغها يراع الاديب ، في محاولة لعقد مصالحة بين الاديب بمفهومه الانساني وبين الاتجاه الاشتراكي . لكنها مصالحة تجور على الادب ، حيث تؤطره في أطر محدودة تحد من انطلاقه الخلاق . ورأيه هذا يعتبر عارضا لانه في مواضع كثيرة ، يدافع عن حرية الاديب ويحرص على عدم خلط الادب بالسياسة . فالسياسة في عالمنا المعاصر هي التي توجه وتؤثر ، بينما المرجو ان تهتدي بنور الفكر والعقل المستنير ، اي تتوجه ويخطط لها في ضوء الفكر . ودلل على ذلك بقيام ثورات تحقيقا لنظريات وأفكار من صنع الفلاسفة والادباء (9) .

---

(6) مجلة (الادب) – اكتوبر 1965 – مقال (رسالة الاديب) للمؤلف .
(7) كتاب (من وحي الفكر) – ص 63 .
(8) المصدر السابق – ص 63 .
(9) المصدر السابق – ص 160 .

كما يؤكد على حرية الاديب ، حيث « لا ابداع من دون حرية واختيار » لكنه كتب عن الالتزام سيرا مع الاحداث الاشتراكية ببلده ، فقد تناولت الاقلام أهمية التزام الاديب بقضايا وطنه . هي قضية مثار جدل دائم اثر التحولات الاشتراكية . وقد أثيرت القضية أيضا في مصر في عقد الستينات ونادى بعض الادباء بالكتابة عن السد العالي ـ المشروع الهندسي العملاق ـ وعن المكاسب الاشتراكية ، والاحداث الهامة التي يجتازها الوطن . وذهب أدباء آخرون الى نفس الزعم ، حتى خيل اليهم أن الادب مجرد (اكليشيه) يخدم الاتجاهات السياسية والاقتصادية ، وليس معاناة من اجل كلمة صدق تقال . وفي هذه الدعوة يسخر الادب لخدمة الساسة . وهو منطق معكوس ، رفضه مزالي في موضع آخر . فلقد تبنى مزالي قضايا الادب من موقع التقدير لدور الاديب ، ونبل رسالته الانسانية . لذا ، حارب كل قيد يفرض على الاديب أو يملى عليه من خارج ذاته المبدعة . فالاديب فنان خالق ولا يتأتى الخلق الفني ان لم يعش الاديب في اجواء الحرية . وفي معرض دفاعه عن حرية الاديب ، ناهض فكرة الالتزام أو أن تكون السياسة موجهة للاديب . فحرية الاديب مقدسة ينبغي الا تمس ، ايمانا منه برسالة الادب الانسانية التي تملى على الاديب الحق القيم الرفيعة والغايات النبيلة .

ويعلي مزالي من قيمة الاديب كصاحب رسالة ، فهو يكافح الظروف المناوئة ويرسم صورة لغد أفضل ، رافضا لكل سلبيات الواقع . وما دام الادب حرية واختيارا ـ كما يقول مزالي ـ فانه يستطيع أن يسْمُو بمشاعرنا ونفوسنا ، ويصبو الى المثل والقيم ، بروح خلاقة لا تعرف الضعف أو التواكل . وان معاني الشابي في استجابة القدر لارادة الانسان ، تفرض نفسها على كتاباته ، فالاديب « يغالب المادة ويواجه العبث ، ليكون خليفة الله في الارض ، ويريد كي يستجيب له القدر ! » (١٥) .

ومن القضايا التي شغلته ، قضية التفرغ للاديب ، ومدى تأثيره على حريته في التعبير . وقد رأى أن التفرغ ـ كما في البلدان الاشتراكية ـ لا يمنح الاديب حرية التعبير والفكر ، مما يؤثر على العملية الابداعية . ان في معاناة الاديب وتجاربه وحالات الالم واليأس والفتور والتمرد ، ما يجعل ابداعه متوهجا . واذا ما ساعدنا الاديب وجعلناه مرفها منعما ، فقد لا يجد في نفسه حاجة الى أن يقول شيئا . يطرح مزالي الحل الوسط ، وهو

---

(١٥) كتاب (من وحي الفكر) ـ ص 208 .

مساعدة الاديب عن طريق الجوائز والاعانات . وفي رأيي ، انه اذا ما انبرت الدولة فـي منح الجوائز والاعانات ، فقد تقصرهـا علـى هؤلاء المباركيـن لسياستها والمادحين والممالئين ، فتفلت الفرصة للمبدعين الذين لا يكتبون بطريقة تطرب أهل المنح والعطاء .

هي قضية شائكة . وفي رأيي ، أن الجوائز وسائل انعام تمنح للاديب من جهة أو هيئة . والادب الحي يعيش في ضمائر الشعور ووجدانها ، مرتكـزا علـى قاعدة عريضة من القراء . فالعقاد العمـلاق لم تحفل بـه الدولة علـى المستوى الرسمي ، واحتفى به تلاميذه وقراؤه المنتشرون في مصر والعالم العربي والاجنبي ، وما اكثرهم . وابو القاسم الشابي ، الشاعر الشاب الذي لهج بشعره الكثيرون ، لم ينل في حياتـه جائزة ولا حظي بتقدير مـن بنـي وطنه. والعجيب العجيب، أن العقاد هو الاديب المعجزة والكاتب الموسوعي الذي الم بفنون المعرفة وعاش من كد قلمـه ، ورضي بهذا الرزق الذي يأتيـه ، ويظل قلمه عفيفا ، عصيا على كل ذي سلطان ! . كما أن الشابي ذاع شعره وانتشر ولم تتجاوز سنه الخامسة والعشرين ، وكتبت عنه مئات الدراسات والبحوث الادبية ، برغم مرضه ومعاناته وألمه ، فقد عانى معاناة أخرى حين رأى شعبه يرسف في القيود .

ان تشجيع الاديب لا يأتـي عن طريق حفلات التكريم وموائـد التفاخـر ومظاهر البذخ ، وانما التشجيع – في رأيـي – اذا نحن أذعنا ابداعه وفكره على الناس ، وأصخنا السمع لحلو الكلمات التـي يصوغها يراعه . فالاديـب ضمير الامة . وكم يعانـي الاديب اذ يواتيه الاحساس أن ما يكتبـه ليس الا صرخة في واد ، وكم يسعد الاديب ان يجـد لكلمـاته صـدى في النفوس ! ان التشجيع الذي قصده مزالي ، اذا روعي فيه أن يشمل كل الادباء المبدعين، بصرف النظر عن نوعية كتاباتهم أو ميولهم ، طالمـا كتاباتهم ذات مستـوى فني متميز ، فان مثل هذا التشجيع سيأتي بالثمرة المرجوة .

وينبرى محمـد مـزالي في تحليـل أسبـاب عدم ذيوع الادب التونسي ، واقتصار التعريف على أشعار الشابي ، دون الاهتمام بغيره . وقد تـرسب هذا الفهم الخاطئ في نفوس الكثيريـن من ادباء تونس ، مما يجعل الاحباط يخيم على نفوسهم . ورأى مـزالي في هذا ظلـم المشرق لأدب المغـرب وخاصة أدب تونس ، وكذلك ظلـم المستشرقيـن الذين لم يعنوا العناية الكافيـة بدراسة هذا الادب .

وينصح الادباء بنبذ سلبيات الماضي ، التي أورثت تونس الكثير من المثالب وعوامل الاحباط . فلا بد اذن من استعادة الثقة بالنفس ، حتى يتبوأ الادب التونسي مكانته اللائقة .

وعن اتجاهات الادب التونسي ، يرى مزالي انها تنزع الى الالتزام بواقع المجتمع الطامح الى تحقيق العدالة والحرية والاشتراكية . لكن التقدم التقني السريع وسيطرة الانسان على المادة والطبيعة ، مقابل عجزه عن السيطرة على الذات ، قد أخل بتوازن الانسان وشعوره بالانسحاق والوحدة ، وهذا ما يعبر عنه الشعر والقصة والمسرح . والشعور بضياع الانسان في عالم مادي سريع التغير ، لم ينعكس فقط على الادب التونسي ، وانما امتد الى الادب العربي كله ، والادب العالمي المعاصر . وهو ما عبر عنه الدكتور زكي نجيب محمود ، حيث علل اتجاه الادب الغربي الى الذاتية المفرطة بأنه رد فعل الحضارة العقلية التي تضاءلت أمامها شخصية الفرد . وان كان مزالي خص العالم الثالث بهذه الظاهرة ، رغم أن نصيبه من التقدم العلمي ضئيل ، كما أنه لا يعايش كل الحضارة العقلية ومظاهر الرفاهية . لهذا فان الشعور بالانسحاق والاحباط في التفرد وابراز الذات ، يعظم في المجتمعات الغربية ، عنه في المجتمعات الشرقية ، وخاصة دول العالم الثالث .

ان كتابات محمد مزالي تبرز نضج المفكر وتجدده ، بعيدا عن التبعية ، وحس الاديب الذواقة المؤمن بحرية الادب ، المعتز بتراث شعبه وأصالة أمته . ولعل أدق وصف لشخصية مزالي الادبية ، ما كتبه رشيد الذوادي : « ان محمد مزالي أديب يمتلك شخصية قوية ، يعايش الناس ويحترق من أجل الضمير الاخلاقي ، وفكره يؤثر فيك لانه أحاسيس وتجارب معيشة وفيه ظواهر القدرة والمسؤولية والرؤى البناءة وما يشد الانسان الى الكفاح المتواصل وما يحفزه الى نشدان الحقيقة وتبيان الطريق » (11) .

حسني سيد لبيب
(القاهرة)

---

(11) مجلة (الفكر) - يناير 1984 - ص 104 .

فارس الشعر أبو القاسم الشابي

شعر : د. عبد العزيز شرف
(القاهرة)

نص القصيدة التي القاها الشاعر في المهرجان الثقافي الكبير الذي أقامته وزارة الشؤون الثقافية بتونس احتفالا بالذكرى الخمسين لوفاة الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي ؛ في مسقط راسه بمدينة توزر 9 ــ 14 ــ أكتوبر 1984 ، والتي القاها مؤخرا في مهرجان رابطة الادب الحديث بالقاهرة 1984/11/6 .

هذه دنياه .. وهذا المراح ... وأبو القاسم الشذا الفوّاحُ
أضريحٌ هذا الذي نَام فيه ... أم غمامٌ يغيبُ فيه الصبّاحُ
وعليه من الخلودِ وشاحٌ ... حبذا في الخلود هذا الوشاحُ
خشعت في ظلاله الأرواحُ ... وتهادت على ثراه الرياحُ
جمعتنا ذكراه في عبقر الشعـ ... ـر كما يجمع الخوافيَ الجناحُ
حثنا الشوق فاقتحمنا الفيافيَ ... وحدا جمعنا الهوى اللفّاحُ
ومشينا في موكبٍ من جلالٍ ... فيه للمجد غدوة ورواحُ
نجتلي طلعة الخلودِ كما اختا ... ل ربيعٌ على الربى فباحُ
يا أبا القاسم انتهى موكب الشعـ ... ـر إلى « تُوزرٍ » ونعم الساحُ
يا أبا القاسم اصطفتك « أبو للـو » ... حيث أنت الشادي بها الصدّاحُ
في دجى الظلم كنت ثورة حرّ ... في دجى الليل شعرك المصباحُ

وهنا أشرق الصباح وغنى : « يا إله الوجود هذي جراح
في فؤادي، تشكو إليك الدواهي » أنّ « قُدسا » بأرضنا يستباحُ
«هذه زفرةٌ يصعّدها الشعـ ب ، وهزته صيحة ملحاحُ
لم تزل تشحذُ العزائم حتى انجلى الليل ثمّ هبّ الصباحُ
يا أبا القاسم الحزين ألا : انهض لم يطبْ قبل دمعنا ، والمزاحُ
عشت شعرا.. ارادة .. في أغاني ك بطش الوغى .. وفيها السّماحُ
فارس الشعر جئتَ والثورة الحمر ةُ والشعب الحرّ والأفراحُ
وتلاقى في ساحة المجد شعبٌ شاء إذلاله الغزاة فراحوا
أيقظته قضية الوطن الدامي فصاحت به الجدود وصاحوا
وانبرى يحملُ الأمانة لا يثني خطاه الوعيد ، لا ، والرّماحُ
فارس الشعر يا أبا القاسم الحرّ أغاريدك الفصاح الصّباحُ
أشرقت في غنائها فرحة الشر ق وولّت من لحنها الأتراحُ
لم تكن شاعر المغارب.. كلاّ أنت وجهُ العروبةِ الوضّاحُ
عبثا تفصل الحدودُ قلوبا جمعتها على الإخاء الجراحُ
جمعتنا على الشدائد آمال ، ودينٌ ، وشرعةٌ ، وكفاحُ
يا أبا القاسم الحزين سلامٌ وخلودٌ ، وعزةٌ ، ونجاحُ
لك دون الشادين أفقٌ فسيحٌ كان وقفا عليك لا يُستباحُ
من جمال الربيع من نضرة الزهرِ ومن ضوءِ الفجر هذا الصّداحُ
غمرتهُ بظلّها .. وسناها ربّة الشعر ، فازدهى الاصباحُ
هو في ثورةِ الخيالِ وابداع المثاني ، ربّاتُها الملاّحُ

توضيحات حول «الشعر المرسل»

بقلم : د . نور الدين صمود

كثيرا ما تحدث المهتمون بالتطور الشكلي للقصيدة العربية ، عن لون من الشعر يسمى « الشعر المرسل » ، وهو شعر متخلص تمام التخلص من الروى والقافية أى ان كل بيت لا يشترك مع أبيات بقية القصيدة الا فى وحدة البحر ، فهناك موسيقى موحدة ووزن قار من اول القصيدة الى آخرها بصدر وعجز على احد البحور الستة عشر ، لكن الشاعر « يرسل » أبياته ارسالا ، كما اتفق دون تقيد بروى او قافية .

واشهر القصائد وأقدمها فى هذا الميدان ، قصيدة لجميل صدقى الزهاوى تتكون من عشرين بيتا من هذا النوع ، وهى مكتوبة على البحر الطويل بأضربه الثلاثة :

1) فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
2) فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
3) فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعى = (فعولن)

وهذا نموذج منها :

اذا خلت الدنيا من النفر الآلى احب فؤادى ، فالسلام على الدنيا
انا اليوم أمرى فى يدى ، غير اننى احاذر من ان يخرج الأمر من يدى ...
يرجى الفتى أن الثراء يعينه على نائبات الدهر حين تنوب (1)

---

(1) ديوان الزهاوى

وتمضي القصيدة على هـذا النحو من « ارسال » القافية والروى علـى « الضروب » الثلاثة المذكـورة ، دون اى نظـام ، ولا تقيد بضرب معيـن وحركة واحدة حتى بوحدة الحركة الاخيرة وربما تقيد البعض من أبياتها بشيء من ذلك صدفة .

وقد وجدت نماذج قليلة من هذا اللون فى الشعر العربى القـديم ، ولكن الـروضيين لم يـروا ذلك لونـا من الـوان التجديد والتطوير فى سبيـل التخلص من قيد الـروى ، بل عدوهـا عيبا عروضيـا سمـوه « الاكفـاء » (وقع ... لبعض مـن لا يحفل به من العرب الذين كانـت بضاعتهم فـى الشعر مزجاة) على حد تعبير حازم القرطاجنى (2) ويعـود ذلـك الى عـدم تمييزهم بين الحروف ، لانهم لم يكونوا يعرفون الكتابة ، فقـد قفـى أحـد القدماء أبياتـه بالكلمات التالية مثـلا : قليل ـ ذميم ـ تـدور ـ نجيب ـ وحافظ على حركة الضم فى آخرها ظنا منه انها موحدة الروى .

وقد حاول الدارسون المهتمون بهذا اللون مـن الشعر أن يعرفـوا أول المبتكرين له فى العصر الحديث ، وكنت أعتقد أن الزهاوى هو رائد هـذه الطريقة ، ثم اطلعت علـى قصائد لعبد الرحمـان شكـرى ونماذج أخـرى للدكتور أحمد زكى أبى شادى ، خاصة فـى ديوانه : « الشفـق الباكـى » واذا كان الزهاوى قد اكتفـى بتلك القصيدة ، رغم أنه تحمس لهذا اللـون من الشعر وكتب مدافعا عنه ، فان الشاعرين : شكرى وأبـا شادى قد أكثرا من كتابة « الشعر المرسل » المتحرر من الروى ، والقافية .

وقد تدخل عبـاس محمـود العقـاد فى هذا الموضوع فكتب حول تحديد الشاعر الذى بدأ بكتابة الشعر المرسل فقال : « ... والـذى أذكـره ، على التحقيق ان الابتداء بالشعر المرسـل ، فى العصر الحديث ، محصور فـى ثلاثة من الشعراء لا يعدوهم الى آخر ، وهم : السيد توفيق البكرى وجميل صدقى الزهاوى وعبد الرحمان شكرى ، ولكنى لا اذكـر ، على التحقيـق ، من منهم البادىء الاول قبل زميليه ، ولعلى لا أخالف الحقيقـة حيـن أرجـح أن البـادىء الاول منهم هو السيد توفيـق البكـرى فى قصيـدته : « ذات القوافى » ، ثم تلاه الزهاوى فى قصيدة نشرت « بالمؤيد » فعبد الرحمـان شكرى فى قصائد شتى نشرت بالجريدة وجمعت بعد ذلك فى دواوينه (3) .

---

(2) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجة ص 272

(3) العقاد : مجلة الرسالة بتاريخ 15 نوفمبر 1943 م .

ومنذ ان كتب العقاد هذا الكلام والدارسون لحركة التطور الشكلي للقصيدة العربية يشيرون الى قصيدة السيد توفيق البكري « ذات القوافي » على أنها أولى قصائد الشعر المرسل ، وعلى أن صاحبها هو رائد هذا اللون من الشعر ، وتخلى الكثير عن اعتبار الزهاوي رائداً لهذا الشعر .

وقد عدت الى قصيدة « ذات القوافي » في كتاب « صهاريج اللؤلؤ » للسيد محمد توفيق البكري (4) فاكتشفت اننا جميعاً كنا تحت تأثير هذه الكلمة الخاطئة للعقاد ، لان قصيدة « ذات القوافي » لم تكن من الشعر المرسل . بل هي « ثنائيات » التزم فيها صاحبها « قافية وزويا » في كل بيتين على نمط بعض « الرباعيات » وبالتحديد على نمط تعريب الشاعر ابراهيم العريض لرباعيات الخيام ، التي اختار لها البحر المتقارب مثل قصيدة السيد البكري التي نحن بصددها .

ونعود الى قصيدة السيد توفيق البكري فقد قدمها الشارحان لهذا الكتاب الشيخان احمد بن أمين الشنقيطي وابو بكر محمد لطفي المصري ــ بهذه الكلمات :

« يظن بعض الناس ان الشعر هو كما قيل في تعريفه : (الكلام الموزون المقفى) . وهو ليس كذلك ، بل الشعر هو كما قال صاحب السماحة المؤلف (5) في وصف أحد البلغاء الحكماء في أول رسالة من هذا الكتاب وهي رسالة القسطنطينية وهو قوله : (قد بذ الاوائل والاواخر . شاعراً الا انه فيلسوف وفيلسوف الا انه شاعر . فكره عالم الحقيقة والمثال لان الفلسفة شعر الا أنها حقيقة والشعر فلسفة غير أنه خيال) وانما « الكلام الموزون المقفى » هو المحل المختار الذي يسكنه الشعر . ومن الطف تعبيرات العرب تسمية هذا المحل (بالبيت)فيقولون : بيت الشعرْ الذي يسكنه . وقلت : المحل (المختار) لان الذي جرى عليه الاختيار من قديم هو وضع كثير من الشعر في ذلك المحل ، وهي (الأوزان الموسيقية) على أن معظم الشعر وأجوده لم يوضع في ذلك المحل بل اختير له النثر

---

(4) صهاريج اللؤلؤ طبع بمطبعة الهلال سنة 1906 م بشرح الشيخين : احمد بن امين الشنقيطي ، وابى بكر محمد لطفي المصرى .

(5) السيد محمد توفيق البكرى مؤلف كتاب « صهاريج اللؤلؤ » .

المرسل والمرسل المسجع فى العربية ، وهذا الذى يسميه الافرنج « الشعر المنثور) ومن أنفس وأعظم ما كتب فى ذلك باللغة العربية هو كتاب : (صهاريج اللؤلؤ) هذا الذى نشرحه .

أما القافية فقد جرى الاصطلاح عليها أيضا تتميما للنغم الموسيقى ، أى الوزن الا ان العجم من فرس وافرنج وغيرهم جعلوها بطريقة سهلة لانهم جعلوا لكل شطرين قافية أو لكل أربع شطرات قافية ونحو ذلك ، فلم يقيدوا الشعر الا بقيد خفيف يسهل معه البلوغ على جميع الاغراض وتناول كثير من الافكار . أما العرب فقد جعلوا القافية واحدة فى كل القصيدة فأصبحت الاجادة فى الشعر عندهم أو البلوغ به الى التعبير عن المقاصد المختلفة ، من اصعب الامور . على أنه كان للعرب نوع من نظم الشعر يشابه ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى بالمسمط . قال فى لسان العرب « الشعر المسمط ما قفى ارباع بيوته وسمط فى قافية مخالفة . يقال : قصيدة مسمطة وسمطية » قال امرؤ القيس :

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله أقمت بعضب ذى سفاسق ميله
فجعت به فى ملتقى الخيل خيله تركت عتاق الخيل تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جريال (6)

---

(6) قال ابن رشيق : « ومن الشعر جنس كله مصرع ، الا أنه مختلف الانواع فمن ذلك الشعر المسمط ، وهو ان يبتدىء الشاعر ببيت مصرع ، ثم يأتى باربعة أقسمة على غير قافيته ، ثم يعيد قسما واحدا من جنس ما ابتدأ به ، وهكذا الى آخر القصيدة ،مثال ذلك قول امرىء القيس ، وقيل انها منحولة :

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر فى الزمن الخالى
مرابع من هند خلت ومصائف يصيح بمغناها صدى وعوازف
باسحم من نوء السماكين هطال

وهكذا يأتى بأربعة اقسمة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسيما على قافية اللام (العمدة ج I ص I54 – I55) . وقال الصاغانى معلقا على هذا الشعر : « ليس هذا السمط فى شعر امرىء القيس ابن حجر ولا فى شعر من يقال له امرؤ القيس سواه » . وانظر الأبيات فى ديوان امرىء القيس .

والرجز أيضا من هذا القبيل . وقد أراد المؤلف ـ حفظه الله ـ بهذه القصيدة التي أسماها : « ذات القوافي » ايجاد مثال للشعر المتعدد القوافي في العربية ، وفك هذا القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء ، فتجول أفكار الشعراء في كل ميادين الخيال وتتناول كل شاردة وواردة من حقيقة ومثال » .

[ذات القوافي]

سقى دورمية بالأجرع مسف من الدجن لم يقلع
ولو ترك الشوق دمعاً بجفني سقيت المنازل من ادمعي

★ ★

شجي يحن لألافه ويصبو الى دهره الغابر
فهل عائد لي زمان مضى « بنعف الغوير » الى « الحاجر »

★ ★

ارى بين احناء صدري نارا توججها الريح اما هفت
وبين جفوني سحبا ثقالا اذا ما تألق برق همت

★ ★

وساورني الحب حتى ثوى كايم على مهجتي ملتوى
وما الحب الا كروض غدا بغير المدامع لا يرتوى

★ ★

وقد هجرت مقلتاي الكرى كأن بهدبي رؤوس الابر
ولو كان ما بي بهذا الغمام لأمطر بالجمر او بالشرر

★ ★

فجسمي اصبح كالشمع يفنيه سكب الدموع ووقد الحرق
فلا ألبس الثوب الا وجسمي من تحت ثوبي كثوب خلق

★ ★

نحلت فلو زرتها ما خشيت   رقيبا يرانى فيمن يرى
ولو زرت « مية » فى يقظة   لظنت بانى خيال سرى

★ ★

يمر ، ولم ادر ، شهر فشهر   كانى فى فلك لم يدر
وارتاح اما تمنيتها   ويا رب امنية كالظفر

★ ★

اسير ولا ارتضى بالعتاق   ومضنى واجزع ان ابرا
وان سلمت خلتها ودعت   واحسب مقتربى منتاى

★ ★

اذا كنت وحدى اكون وايا   ك او خاليا فانشغالى بك
واطلب المجد والمكرمات   لتحسن لى شمة عندك

★ ★

ليحنو قلبك رفقا علـ   ـى فالصخر بالماء قد ينبجس
وصونى الوداد وفيه النماء   فلن يورق العود اما يبس

★ ★

لمية خد به وردة   تفتحه نظرة او خجل
وقد قضيف اذا ما تثنى   يخال به رنح أو ثمل

★ ★

ووجه اذا ما نظرت اليه   نظرت لوجهك فى مائه
وجفن ترنقه فترة   كمستيقظ بعد اغفائه

★ ★

كانى ، فى مدحها ، ساجع   ودمعى فى عنقى طوقه
تشوق فؤادى فاننى عليها   كعود يضوعه حرقه

★ ★

زمـــان اذا مـــا تذكـرتــه   تخيلته حلمـــا فــى الكــرى
وعهـــد الشبـاب كــرؤيــا اذا   مضت ادركتها نفوس الورى (7)

ان نظرة سريعة لقصيدة البكرى هـذه تبين لنـا انهـا قد كتبت بطريقة الثنائيات ، وقـع فيهـا تصريع كل بيتين بقافية مستقلـة ، ولهذا سماهـا البكرى : « ذات القوافـى » ولم يقل انها متحررة او مرسلة مـن القوافـى ، ولكن تسميتها أوقعت العقاد فى الخطا فتوهم أنها متحررة من القوافى ، على غرار قصيدة الزهاوى الآنفة الذكر . وتناقل عنه المهتمون بهـذا الموضـوع قوله هذا دون الرجوع الى القصيدة . وهو بلا ريب وهم من العقاد ، والا لما قال ذلك ، لان العقـاد نفسه قد كتب « الثنائيـات » ، وما اليهـا مـن الشعر المسمط المنوع القوافى فى عهد مبكر جدا أيام كان يحاول أن يجدد الشعر العربى بمعية شكرى ، والمازنى الذى كتب بدوره الشعر المسمط بمختلف اشكاله .

وبصرف النظر عن خطا العقاد ، وعدم صلـة قصيـدة « ذات القوافـى » بالشعر المريسل فاننا نريد أن نقول :

أولا : ان اول من كتب « الشعر المرسل » فى العصر الحديـث ، عامـدا متعمدا ، هو الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى صاحب القصيدة التـى ذكرنا منها بضعة أبيـات :

ثانيا : ان قصيدة : « ذات القوافى » قد نشـرت فـى كتاب « صهاريـج اللؤلؤ » ، الذى طبع سنة 1906 م أى أنها قد كتبت فى أوائل هذا القرن علـى الاقل ، وهذا يدل على أن هذا الشيخ قد كان تقدميـا يؤمن بضرورة تطوير الناحية الشكلية للقصيدة العربية على غرار بعض ما قام به التقدميون مـن الشعراء فى مختلـف العصور ، منذ امرىء القيس ، مـرورا بـالموشحـات الأندلسية الى الآن .

---

(7) الملاحظ أن هذه القصيدة قد كتبت بوضع الشطور تحت بعضهـا بـدون أن تقع مراعاة الصدور والاعجاز ، بحيـث وقع التدوير فـى كثير مـن أبياتها دون حاجـة الى ذلك ، والغـى التدوير فـى الابيـات المدورة ، ولعل ذلك جعل القصيدة فى (نظر) البعض ، من الشعر المرسل ، وقـد كتبناها هنا بالطريقة الصحيحة التى تبرز أنها ثنائية .

ثالثا : ان كتابة الثنائيات والثلاثيات والرباعيات والخماسيات وما شاكلها ليس جديدا ، فقد كتب الرجز بطريقة المزدوجات وما شابهها كقول الوليد ابن يزيد :

الحمد لله ولي الحمد احمده في يسرنا والجهد
اشهد في الدنيا وما سواها ان لا اله غيره الهنا
ما ان له في ملكه شريك قد خضعت لملكه الملوك
اشهد ان الدين دين احمد فليس من خالفه بمهتد ....

وكتب الرجز أيضا بثلاث قواف كقول محمد بن ابراهيم الفزاري تلميذ الأصمعي :

الحمد لله العلي الأعظم ذى الفضل والمجد الكبير الأكرم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلى الطباقا والشمس يجلو ضوؤها الاغساقا
والبدر يملأ نوره الآفاقا

وقد كتب الرجز أيضا بطريقة الرباعيات ، من ذلك قول الحسن بن علي ابن وكيع التنيسي :

رسالة من كلف عميد حياته في قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيد

★ ★

جار عليه حاكم الغرام فدق ان يدرك بالأوهام
فلو اتاه طارق الحمام لم يره من شدة السقام (7)

وقد نوع الشعراء قوافيهم في القديم كما نوعها المحدثون ، ولكنهم كانوا جميعا يبحثون دائما عن التماثل في قوافي كل مجموعة ، فتارة يجعلونها : اثنين اثنين ، أو ثلاثة ثلاثة وقد وصل بها بعضهم الى عشرة عشرة أو أكثر واذا كانوا في القديم قد نوعوا قوافي الرجز بكثرة ، وقلما نوعوا القصائد المكتوبة على البحور الأخرى ، فان الشعر قد عرف بعد ذلك تنويعا لقوافي القصائد المكتوبة على عدة بحور خليلية أخرى .

رابعا : ان العقاد نفسه ، الذى طالما وقف ضد كل محاولة للتطوير الشكلى للشعر ، قد كتب الثنائيات وما شابهها ، كما نوع الشعراء منذ أوائل هذا القرن قوافيهم ، وذلك فى جميع الأقطار العربية تقريبا دون ان يجد هذا التنويع أى معارضة من المتشبثين بالقديم ،ولم يعتبر أحد ـ فيما أعلم ـ ان فى ذلك العمل خروجا عن الشعر العربى أو محاولة لتحطيمه أو ما شاكل ذلك من المعارك التى وقعت بين أنصار الشعر الحر وأعدائه ، فقد كتب شوقى وحافظ ومطران والبارودى قبلهم وجيل هؤلاء الشعراء كما كتب شعراء أبولو والمهجرين الاميريكيين : الشمالى والجنوبى الشعر المنوع القوافى كما كتب هذا النوع فى تونس أمير الشعراء محمد الشاذلى خزندار والجيل الذى عاصره والذى جاء بعده من أمثال : الشابى ومعظم شعراء كتاب : (الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر) الهجرى لزين العابدين السنوسى وكذلك فعل الزهاوى والرصافى فى العراق وغير هؤلاء من شعراء العالم العربى .

خامسا : نلاحظ أننا اذا أخذنا من الشعر المرسل بيتا مستقلا فاننا لا نجد فيه أى عيب من العيوب العروضية ،فهو مثل أى بيت مفرد نأخذه من قصيدة ، ونستدل به دون أن نضيف اليه بيتا آخر من نفس تلك القصيدة ، وكل بيت مفرد لا نستطيع أن نعرف ما فيه من عيوب تتعلق بالقافية الا اذا أضفنا اليه أبياتا أخرى من القصيدة الاصلية وقد قال المعرى فى هذا المعنى :

كالبيت افرد لا ايطاء يلحقه ولا سناد ولا فى البيت اقواء

كما لا نستطيع أن نعرف (اللزوميات) الا اذا رأينا نوع القوافى فى كامل أبيات القصيدة فاننا لا نستطيع أن نعرف أن القصيدة مرسلة الا اذا نظرنا الى قوافى اكثر من بيت من القصيدة الواحدة ، واذن فان البيت المستقل المفرد من القصيدة المرسلة لا عيب فيه ، حتى عند من يتشبث بوحدة القافية ، لانه مثل اى بيت من قصيدة موحدة القافية .

سادسا : ان المعارضين لهذا اللون من الشعر يرفضونه لانهم لا يجدون فيه رنينا رتيبا ترتاح اليه آذانهم التى تعودت على النغم الرتيب ، ولو على حساب المعانى ، ولا يطيقون أن يروا اللغة العربية (الغنية) بالآلاف من المترادفات . خالية من هذه الزينة ، ويرون انه اذا كان يجوز للمرأة الفقيرة

أن تبرز (عاطلة) من الزينة والحلى فانه لا يجمل بالمرأة الفنية أن تظهر بدون حلاها .

سابعا : نلاحظ أن ايمان كثير من الشعراء بغنى اللغة العربية ووجود العشرات من الكلمات التي تصلح ان تكون قوافي للقصائد ، جعل الشعر العربي ينصب على بضعة حروف مثل : الهمزة والباء والراء والدال واللام والميم والنون وأمثالها ، وجعل بعض الحروف لا يكاد أحد من الشعراء يكتب عليها قصيدة واحدة مثل الزاى والشين والثاء والذال والطاء والظاء والضاد وما اليها من الحروف التى تقل الكلمات التى تنتهى بها .

ثامنا : كثيرا ما تهيب الشعراء العرب الاقدام على كتابة الملاحم الطويلة وذلك خوفا من سلطان القافية ، فقد يتورط فى عمل لا يستطيع الخروج منه أو قد يخرج منه غير سليم العواقب . ومهما قيل عن كثرة القوافى حتى فى الحروف الفنية او القوافى الذلل ، فان الشاعر سيجد نفسه أمام أمرين : اما ان يكثر من (الايطاء) أى ان يعيد بعض الكلمات فى القافية لأنه سيحتاج اليها أكثر من مرة ، واما ان يلتجىء الى بعض الكلمات الغريبة التى تنتهى بذلك الحرف ، وكم قرأنا شعرا من هذا النوع حيث نرى كامل البيت واضحا مفهوما ، ولكن القارىء اذا وصل الى القافية فكأنما اصطدم (بجلمود صخر حطه السيل من عل) .

تاسعا : ان الشعر المرسل ما هو الا طريقة من طرق كتابة الشعر العربى لا نزعم بأنه الحل المثالى لقضية الشعر العربى ، وليس لاحد ان ينادى به سيدا على جميع الوان الشعر العربى ... كما أنه ليس من المعقول ان ننادى بتجنبه والابتعاد عنه لانه لا تتوفر فيه القافية الرتيبة التى تعودنا عليها منذ أكثر من ألف وخمسمائة سنة .

عاشرا : بعد هذا الحديث الطويل عن « الشعر المرسل » نقدم منه هذا النموذج من قصيدة الزهاوى التى اعتبرناها أقدم قصيدة مرسلة فى العصر الحديث ، لان صاحبها تعمد ارسالها من القوافى ودافع عن هذا اللون من الشعر ، والملاحظ أن أبيات هذه القصيدة تكاد تستقل عن بعضها ويكاد يكون كل بيت حكمة مرسلة . قال الزهاوى :

الا ليت أعمالى – اذا كنت ميتا   وقد نقدوها – لا على ولا ليا

اتت صور الماضي تباعا فمثلت لعيني لهوا مر ثم اضمحلت
فحصت بطون الارض فحصا فلم اجد سوى حركات فيه لم ادر ما هيا
اذا خلت الدنيا من النفر الالى احب فؤادي ، فالسلام على الدنيا
انا اليوم امرى في يدى غير انتى احاذر من ان يخرج الامر من يدى
اذا كان في بيت مريضا عزيزه فسكان ذاك البيت كلهم مرضى
واحسن اوقات الفتى وقت نومه على نائبات الدهر حين تنوب
يرجى الفتى ان الثراء يعينه الى جانبيها روضة وغدير
اسر مكان لى على الارض ربوة اذا كان ذاك النوم خلوا من الحلم
وهل كبر الجثمان ينفع ربه اذا كان فيه العقل غير كبير ؟

ذلك هو الشعر « المرسل » وذلك نموذج من اقدم نماذجه نرجو أن يحاول إحتذاءه الشعراء فقد أخذ الشعر الحر حظه واختلط بالنثر لدى من ليست له اذن موسيقية ذواقة .

د. نور الدين صمود

المنفى ...

شعر: يوسف رزوقه

إلى صديقي

مُتَوَهِّجاً أَمضي إلى قِمَمِ الجُنُونِ .
أَبَعْدَ كُلِّ تَوَهُّجِي هذا .. أَمُوتُ ؟
كأنَّني ما كُنْتُ / ما أنكى المسافة بيننا !
هَلْ أَمَّحِي .. لأكُونَ في الطَّرْفِ المُقَابِلِ وَرْدَةً للآخَرِينْ ؟
أَمْ أَستحِي .. لأظَلَّ في المَنفى تُسَيِّجُني خُيُوطُ العَنكَبُوتْ ؟
لِمَ الصَّدِيقُ يَضِيقُ في وَجْهِي ، يَضِيقْ ؟
لِمَ الطَّرِيقُ إليكَ لَمْ تَمُدَّ الطَّرِيقْ ؟
أَلأنَّهُمْ قالُوا ؟ وأعرِفُ أنَّهُمْ كَذَبُوا وَلَوْ صَدَقُوا

* * *

صَدِيقِي : كُلُّهُمْ ذِئْبٌ عَلَيْكْ
زَجُّوا بِيُوسُفَ في ظَلاَمِ البِئْرِ ثُمَّ مَضَوْا إليْكْ
وَإِذَا رَأَوْكَ عَلَى انفِرَادٍ اسْتَنْجَدُوا بِالذِّئْبِ فِي كَلِمَاتِهِمْ
وَأَتَوْا عَلَيَّ فَمِتَّ فِيكَ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي تَمَاماً أَنَّهُمْ حَمْقَى
إلَى هَذَا السُّقُوطْ .
بَثُّوا دُخَاناً خاثِرا لِيُظَلِّلُوا الرَّائِي
وَفَرُّوا فِي اتِّجَاهِكَ وَاخْتَفَوْا فِي المَا وَرَاءِ .
بِأَيِّ تَشْبِيـــــهٍ أُشَبِّهُهُمْ :
بِحَالِ الذِّئْبِ أَمْ بِالأُخْطُبُوطْ ؟

1985 / 3 / 1

الأصالة والمعاصرة في «موسم الهجرة إلى الشمال»

بقلم: البشير المجدوب

(*) - 2 -

ج) **النقد الاجتماعي (الوعي المتمرد) :**

على ان هذا الوعي المتأجج الثائر فى صمت ـ نتيجة الكبت والعسف ـ لم يبلغ حد الانفجار المأسوي العنيف ، ولم يتخذ شكل المواجهة الصريحة والتحدى السافر الا على الصعيد الاجتماعي .

فلئن عاب الراوي على « الطبقة البرجوازية » (وعلى حضارة المدينة عموما) تقليد الغرب فى غير تحفظ ولا تمييز ـ مقرا مع ذلك مبدأ التفتح والتحرر ـ فقد نقم على الريف انطواءه على ذاته وتحجره وانغلاقه تجاه الحياة المتجددة المتطورة .

فقرية الراوي ، شأنها فى ذلك شأن الريف السوداني كله ، تحيا ، وهى فى القرن العشرين على نفس النمط وبنفس العادات والتقاليد والقيم التى عاشت عليها منذ مئات السنين ، وما حدث فيها من تغيير محدود (مثلا المدرسة ، اقتناء الآلات العصرية) لم يمس جوهر الشخصية أعني عقلية القوم ونوعية نظرتهم الى الحياة وموقفهم الخاص منها .

« **... الدنيا لم تتغير بالقدر الذى تظنه :** تغيرت أشياء : طلمبات الماء بدل السواقى . محاريث حديد بدل محاريث الخشب . أصبحنا نرسل بناتنا للمدارس . راديوهات . أوتومبيلات . تعلمنا شرب الويسكى والبيرة بدل العرقى والمريسة . **لكن كل شيء كما كان** » (21) .

(*) انظر « الفكر » ع : 7 ـ س : 30 ـ أفريل 1985 .

(21) ص : 103 .

لقد بلغ من تحجر أهل الريف وتشبثهم بالماضي على علاته ان أصبح للعادات والتقاليد قداسة وأى قداسة ، على ما فيها من جور وإجحاف بحـق المـرأة خصوصا ، وانتهاك لحرمتها وكرامتها .

إن أفدح عيب بل إن أخطر عاهة وأبشع صورة من صور استغلال الانسان للانسان (الى جانب هيمنة الأغنياء على الفقراء) فى هذه البيئة الريفية انحطاط منزلة المرأة وتدهور حالها حتى كأنها الأمة المغلوبة على أمرها ، لا حول لها ولا قوة ، بضاعة تباع وتشترى ، لا معنى لها ولا اعتبار الا بالنظر الى الرجـل ، ومن حيث هى تقوم على سد حاجاته وتلبية رغباته .. كائن سخـر تسخيـرا لمجرد الخدمة والمتعة والنسل ، أو كأنها الحيوان (ولأمـر مـا تكـررت كلمـة « حمير » فى الرواية نعتا ، أو تشبيها ، للنساء) (22) اذ هى يستبدل بها بأيسر ما يستبدل الحيوان .

يقول الراوي معترضا على فكرة زواج ود الريس من حسنة ، ارملة مصطفى سعيد ، وهو يكبرها بأربعين عاما :

« قلت له (لمحجوب) : « ولكن اذا كانت لا تريد الزواج ... » وقـاطعنى قائلا : « **انت تعرف نظام الحياة هنا . المرأة للرجل ، والرجل رجل حتى لو بلغ ارذل العمر** » (23) .

« قال (ود الريس) : « لن أتزوج غيرها . **ستقبلنى وانفها صاغـر** . هل تظن انها ملكة او اميرة ؟ الأرامل فى هذا البلد أكثر من جوع البطن . **تحمـد الله انها وجدت زوجا مثلى** » (24) .

وأدهى ما فى الامر رضى المرأة (الـريفية) بحالهـا ، واستسلامهـا الى قدرها ، ونظرتها الى جبروت الرجل وتصرفه المطلق فى مصيرها على أنه وضع طبيعى مسلم به ، مفروغ منه ، لا يتصور بديل سواه ، كما لو كان فى أساس الخاقة وفى الصميم من طبائع الاشياء ، تقتضى الحكمة والمصلحة وسنة الحياة الالتزام به والاذعان اليه .

---

(22) انظر ص : 79 ، 82 ، 99 ، 103 .
(23) ص : 102 .
(24) ص : 100 .

ويبلغ من جهلها وقصر نظرها وانعدام الوعي لديها أن تصبح مناصرة للرجل على نفسها ، شريكة له متواطئة معه فى تاكيد رقها وتبعيتها ، عدوة لذاتها ، حربا على نفسها ، دون علم منها .

وقد تجلت هذه الظاهرة فى موقف أهل القرية الجائر المنحاز من قتل حسنة لود الريس ، وفى إجماعهم – رجالا ونساء (25) – على تحميلها وحدها مسؤولية الفاجعة ، دون تفهم لوضعها الخاص (فلقد تهذبت حسنة وتطورت شيئا ما ، بفضل معاشرتها لمصطفى سعيد ، وصارت كأنها من « نساء المدن ») ، ودون اعتبار لرأيها وحريتها الشخصية؛ فمثل هذا الاعتبار لا حق للمرأة فيه ، ولا يمكن ، بحال ، أن يعد مبررا مشروعا لرفض الزواج من ود الريس ، ولاتفسيرا معقولا مقنعا للجريمة .

ومن تعصب القوم وحماقتهم لغلبة النزعة الرجعية عليهم أن عزا بعضهم (وهو محجوب) الجريمة الى الجنون .. جنون حسنة وود الريس ، وذهب بعضهم (أعني الجد) وهو أعقلهم أو المعروف عنه أنه أعقلهم ، وكان – قبل إرغام حسنة على الزواج وحلول الكارثة – محل إكبار واجلال حفيده الراوي يرى فيه مثالا رائعا للأصالة الحق ، ذهب الجد الى تفسير الواقعة تفسيرا غيبيا يقوم على التفرقة العرقية ، زاعما ان المرأة عنصر شؤم لأنها من قبيلة غير رفيعة النسب .

« ... وبعد انتظار طويل قال (الجد) يخاطب سقف الغرفة : « لعنة الله على النسوان . النسوان أخوات الشيطان ... ليته سمع كلامي . ينتهي هذه النهاية . لا حول ولا قوة الا بالله . أول مرة يحصل شيء مثل ذلك فى هذا البلد منذ خلقه الله . محن آخر الزمن ... تلك القبيلة لا يجيء من ورائها الا الشر . قلت لود الريس : هذه المرأة شؤم ابعد عنها . إنما الاجل » (26) .

وتقول بنت مجذوب للراوي : « هذه مصيبة كبيرة حصلت فى البلد . طول حياتنا تحت ستر الله . آخر الزمن يحصل علينا مثل هذا . أستغفرك وأتوب اليك يا رب ... » (27) . « ... البلد كلها كأنما حل عليه الشياطين فى

---

(25) شخص واحد شذ عن الجماعة ، وهو زوجة ود الريس الكبرى ، ولكنه شذوذ يدعم القاعدة .

(26) ص : 125 .

(27) ص : 129 .

تلك الليلة . منظر لا أراك الله مثله يا ولدي ، يفطر القلب ، يشيب الوليد . وكله بلا سبب ولا طلب . إنها قبلت الرجل الغريب (أى مصطفى سعيد) لماذا لم تقبل ود الريس ؟ » (28) .

لم تكن فعلة حسنة ، فى نظرهم ، جريمة عادية .. مجرد قتلة ، بل مروقا.. ضربا من الغدر والخيانة لقانون الجماعة .. انتهاكا فادحا وتحديا فظيعا لحرمة التقاليد وقداستها .

فلا عجب ان يقول محجوب ، ذلك الشاب الذكي المتعلم ، الخاضع رغم ذلك لسلطان العادات وجبروت التقاليد تلك الكلمات العنيفة اللاذعة : « إنها لم تكن تساوى مليما . لولا الحياة ما كانت تستأهل الدفن . كنا نرميها فى البحر أو نترك جثتها للصقور » (29) يقولها بحضرة صديقه الراوي وقد علم ، مع ذلك ، حبه للفقيدة ومدى تحسره عليها ؛ وهو ، بذلك ، يعبر عن موقف القرية بأسرها ، ويقوم رمزا ودليلا على ما تؤول اليه الأصالة المنغلقة ـ بحكم التعصب والتطرف ـ من قسوة وعنف يبلغ حد التوحش والتنكر لفضيلة الانسانية ولربما الانسلاخ عنها، ودليلا فى الآن نفسه على ان المعاصرة ضرورة حيوية .. شرط لا بد منه لصيانة انسانية المرء وتأكيدها واستمرارها ..

فلا بدع اذن أن جعل الكاتب علاقة الرجل بالمرأة ، أو بالأحرى قضية استلاب المرأة بمكان المركز او المحور ، أحد المحاور الرئيسية فى روايته ، وبمثابة القلب النابض منها ، لارتباط هذه القضية الوثيق برؤيته الحضارية ، وما تنطوي عليه هذه الرؤية من أبعاد إنسانية ، فلا معاصرة ولا حضارة دون إسهام المرأة فيها ، منظورا اليها بصفتها إنسانا ، فى أتم معنى الكلمة ، كائنا حرا مسؤولا وليس جسدا فقط ، أو مجرد « جنس » وقد أنصفت ومارست حقوقها ؛ وما احترام المرأة ، وهو من المعانى الضمنية التى ترمى اليها الرواية ـ الا استكمال لانسانية الرجل وسبيل لتزكيتها والمحافظة عليها ، اذ المرأة منه فى الصميم .. جزء لا يتجزأ من الانسان الذى هو الرجل والمرأة على حد سواء ؛ حتى لنكاد نقول : إن الكاتب قد يرى فى نوعية علاقة الرجل بالمرأة وكيفية معاملته لها مؤشرا ودليلا على مدى رقي المجتمع ودرجة الحضارة فيه ، ومقياسا صادقا لهما .

---

(28) ص : 129 .
(29) ص : 134 .

كانت هذه الاشياء (أعني امتياز الرجل وسيطرته المطلقة على المرأة فى جميع الظروف والاحوال) مألوفة فى البلد حتى كأنها من طبيعة الحياة البشرية ... سنة من سنن الوجود رسوخا وحتمية واستمرارا ، ولم يكن الراوي - لما رأينا من حبه لقريته وتجذره فيها وانسجامه معها - انسجام السمك فى الماء - مدة طويلة من الزمن إثر رجوعه من انكلترا ، لم يكن الراوي ليستنكر هذا الوضع استنكارا ينقلب - فى أيام قليلة - تمردا صارخا على هذا النظام الاحمق الجائر الذى دفع به الى القطيعة والعزلة والضياع لو لم يصب فى العمق من كيانه ، فى لحمه ودمه ، فى حبه للمرأة الوحيدة التى أحبها فى حياته ، والتى شاءت سخرية الاقدار أن تكون تلك التى عهد اليه زوجها بالوصاية عليها وعلى ولديها .

لم ير أحد فى القرية من بأس فى هذه الزيجة الشاذة البشعة ، وقد باركها أعيانها وعقلاؤها ، بل وجد الخاطب مناصرا وسندا قويا فى شخص الجد ، وهو ، كما نعلم ، أحب الناس الى الراوي ، وأحظاهم بالاكبار والتقدير لديه ، واذا بالراوي - بعد الألفة والوئام - يصطدم لأول مرة بالقرية صفا واحدا .. كتلة عدائية جبارة يفصله عنها خلاف جوهري حول مصير امرأة فى ريعان شبابها ربة أسرة توشك أن تكون ضحية لمجرد نزوة شيخ «مزواج مطلاق» كالوحش المغتلم لا يعرف شبقه شبعا ولا ريا ، أو كمصاص الدماء لا تشفى غلته أبدا .

« ... امرأة نبيلة الوقفة ، اجنبية الحسن ، أم أننى اتخيل شيئا ليس موجودا حقيقة ؟ امرأة أحس حين ألقاها بالحرج والخطر ، فاهرب منها أسرع ما أستطيع . هذا هو القربان الذى يريد ود الريس أن يذبحه على حافة قبره ، ويرشي به الموت فيمهله عاما أو عامين » (30) .

واذا الراوي يجد نفسه فى موقف حرج .. فى أشد مأزق مقسما متارجحا بين قطبين متعارضين يتجاذبانه : الجماعة ، من ناحية ، بثقلها التاريخي ، وتراثها الحى ، وما يشده اليها من جذور قوية ضاربة فى أعماق الكيان هى جزء من الذات ، وبعض من جوهرها وحقيقتها ؛ ومن ناحية أخرى : الحب ، وما تقتضيه ثقافة العصر من إيمان بحق الانسان - أى انسان ، امرأة كان أو رجلا - فى الحرية والكرامة ، فينتابه ، وبعض ذاته يأكل بعضا وبعضه لبعض

---

(30) ص : ٥٠ .

عدو ، شعور بالغربة والضيق بين أهله وذويه وأقرب الناس اليه ، ولا يلبث هذا الشعور أن يستحيل نفرة ونشازا ، غضبا ونقمة .

« ... **أحسست بغيظ حقيقي أدهشني اذ ان هذه الاشيـاء مالـوفة في البلـد** . قلت لجدي : إنها رفضت رجالا أصغر منه سنا ، إنه يكبرها بأربعين عاما ، . **ولكن جدي اصر على ان ود الريس شاب وانـه ميسور الحال** ، وأنـه متأكد أن أباها لن يمانع ، ولكن المرأة نفسها قد ترفض ، ولذلك أرادوا أن يجعلوني واسطة خير . حبس الغضب لساني فلذت بالصمت ... وأتصـور حسنة بنت محمود ، أرملة مصطفى سعيد ، في الثلاثين من العمـر ، تبكي تحت ود الريس الذي بلغ السبعين ، ويتحول بكاؤها الى قصص من قصص ود الريس المشهورة عن نسائه الكثيرات ، يتندر بها رجال البلد ، فيـزداد الغيظ في صدري ضراوة . ولم أستطع البقاء فخرجت ، **وسمعت جدي ينادي ورائي فلم التفت** . وفي بيتنـا سـألني أبي عن سبب غضبي ، فحكيت لـه القصة . **ضحك وقال : « هل هذا شيء يثير الغضب ؟ »** (31) .

وأشد ما في هذه الحال إيلاما وحزا في النفس وتنغيصا ، وهو مـا يكسب صراع الراوي بعدا مأسويا حقيقيا ــ مأساة الحب المستحيل ــ عجزه عن نصرة هذه المرأة المهددة المسكينة التي يحبها ، بأكثر من المعارضة اللفظية ، يستهويه داعي الحب فيهم بالبوح ويحلم بالوصال ولكن هيهات !

سرعان ما تعتريه الهواجس ويعذبه الوسواس ، وينبري الضمير لمحاسبته وتقريعه أشد المحاسبة والتقريع . من أدراه بأن المرأة تبادله نفس الشعور ، وتحس نحوه بنفس الميل ؟ فاذا لم يكن هناك تجاوب وتعاطف كان الـزواج بمثابة الاغتصاب لا فرق بينه وبين زيجات ود الـريس ومغامـرات مصطفى سعيد المجونية في أوربا ؟ ولو تم هذا الـزواج لأسـاء الى سمعتهمـا معـا ، واكتنفتهما الشبهة والظنون ، ويكون ذلك سببـا في شقائهـا والمزيـد من تعاستها؟ ثم إنه الوصي المؤتمن ، في نظر الجميع، على هذه المرأة وعلى ولديها.. ثم انه متزوج وأب ... كيف تطاوعه نفسه وتسوغ له ما يكرهه ويأباه بحكم نشأته (32) وثقافته .. هذه العاهة ــ تعدد الزوجات ــ التي يمثلها ود الريس، أكمل تمثيل بتصرفاته السمجة السخيفة ، فيزيدها بذلك شناعة وخزيا .

---

(31) ص : 90 .

(32) ص : ص 83 ــ 84 .

إنه المازق لا مخرج منه ، والدوامة لا تني تعصف بعقله وقلبه لا يستطيع لها ثبوتا .

ولم يكن أحد فى القرية (حتى ولا الراوي) يتوقع ، أو يتصور مجرد تصور حدوث الكارثة . فكأنه ـ وإن صرحت له حسنة بعزمها ، لوأرغمت على الزواج من ود الريس ،على قتله وقتل نفسها ـ لم يأخذ قولها مأخذ الجد . حتى هو قد فاته ، فى حالة الذهول والاضطراب التى كان يعيشها ، أن التطور قوة قاهرة .. تيار لا يرد ولا يعكس ، كالسيل الجارف يتلف ما يعترض سبيله .

فكأنه شغل عن ذلك بنفسه .. بهذا الحب « الآثم » الذى كان فى الآن نفسه كشفا رائعا لذاته .. لجانب من ذاته ظل حينا من الدهر معطلا مكبوتا ، قد تنازل عن حريته واختياره خضوعا لآلية العادة وهيمنة التقاليد .. هذا الحب الذى استشرى وطغى دفعة واحدة فملأ عليه كيانه عند مجرد الاحساس بالخطر .. خطر الحرمان من حسنة حرمانه نهائيا ، منعا باتا ، فى حال زواجها المحتمل ، فيسافر (الى الخرطوم) وكأنه يفر فرارا من مواجهة حقيقته ، إشفاقا على نفسه من نفسه .

وتحدث الفاجعة فتنقض كالصاعقة على القرية الهادئة ، تغط فى نومها الدهري ، مطمئنة الى استقرارها الوهمى ، وسكينتها الكاذبة . حادثة بسيطة عادية وقع مثلها مرارا من قبل فى القرية ، فلم يحدث ما يسوء أو ينكر ، واستمرت الحياة لم يتغير مجراها كشأنها فيما مضى .

أما هذه المرة بالذات ، فقد كانت كالاعصار هز البلدة هزا ، فاقتلعها من جذورها وتركها قاعا صفصفا .

إنها جرثومة التطور والحضارة استخفوا بها ، وتجاهلوا شأنها ، سفها وحمقا ، فعالجوها بالكبت والمحق ، فتمردت ، واستفحل أمرها ، ولم تلبث حتى سممت حياة الناس جميعا .

وتشتد أزمة الراوي ـ بعد هدنة خادعة عابرة ـ وقد اصطربت فى نفسه أحاسيس وعواطف شتى : الحزن ، والحسرة ، والندم ، والغضب ، والياس ، والرغبة الشديدة الجامحة فى الاخذ بالثار ، والشعور بالغربة والعزلة .. أقصى الغربة ومنتهى العزلة التى تتجاوز نطاق البيئة والمجتمع فتشمل الدنيا بأسرها والوجود باكمله ؛ حتى الطبيعة فى الريف ، وهو من عشاقها ، قد أنكرته فانكرها ، ولم تعد ، على فتنتها وجمالها ، تحرك فى نفسه ساكنا .

« الحقول نيران ودخان . هذا أوان الاستعداد لزراعة القمح . ينظفون الارض ويجمعون أعواد الذرة والجذوع الصغيرة ، ذكريات الموسم الذى انتهى ، ويكومونها أكواما وسط الحقول ويحرقونها . الارض سوداء مبسوطة تستعد للحدث القادم . الرجال قاماتهم منحنية على المعاول وبعضهم خلف المحاريث . قمم النخل ترتعش للهواء الخفيف وتسكن ، وبخار حار يتصاعد من حقول البرسيم المروية ، تحت وطأة الشمس فى منتصف النهار . ومع كل هبة ريح يفوح أريج الليمون والبرتقال واليوسفندي . خوار ثور أو نهيق حمار أو صوت فاس فى الحطب . **ولكن الدنيا قد تغيرت** » (33) .

واشد هذه الاحاسيس والانفعالات واقساها الشعور بالافلاس .. إفلاس الجميع ، وإفلاسه هو خاصة . فلقد تردد وأحجم ، وانساق واستخذى حين كان ينبغي أن يبت ويحسم . لقد تردد وأحجم عن أخذ القرار ، وتهيب الاخلاق والرأى العام ، فأودى حذره وتوانيه بنفس عالية نبيلة ظلت على نبلها حتى فى ساعات المأساة وفى أشنع لحظات الانتقام ، ولم يعرف قدرها سواه ، ولكنه فرط فى حقها ، وقصر فى الحفاظ عليها والذود عنها . فلا الأصالة — متمثلة فى « حكمة » قومه ومسلكهم فى الحياة أجدته شيئا ، ولا أسعفته ثقافته المستعارة لانه أراد ، لمثاليته ، أن يؤلف ما لا يتفق .. أن يوفق بين طرفى النقيض ..أصالته وثقافته ، ويرضيهما معا ، كما هما ، على حالهما .. صفاء عنصر وسلامة كيان ، بدلا من تطويعهما ، وكسر شوكتهما ، وإرغامهما على التنازل — كلتيهما — بالقدر الذى يلائم الواقع (بل يقتضيه الواقع ، ويفرضه فرضا) وينسجم مع الحياة الحق — الحياة الضاربة فى أعماق القدم ، النامية ، على ذلك ، المتجددة على الدوام .

لقد ظل يفكر ويقلب النظر ، ويحاسب النفس ويناقش ويسيح فى أحلامه تاملاته — وهو ، فى ذلك ، يشبه « هملت » (Hamlet) شيئا ما ، مع اعتبار الفارق — بدل أن يتصدى للواقع ، ويمارس الفعل ، « فيجتهد » ويختار ، ويشق طريقا بكرا ويفرض ذاته وإرادته ، وينشىء الحياة إنشاء ، فكانت الخيبة المرة والوزيمة النكراء ، وكانت القطيعة مع الاهل والعشيرة (وتمثل ذروتها ، رمزا بليغا ، فى شجاره مع صديقه الحميم محجوب) . لقد باخت أسطورة اصالتهم ، وتكشفت حقيقتهم ، فازدراهم لتفاهتهم وسخفهم ، ومجتهم نفسه ، وانسلخ عنهم بجسده وروحه ، واذا هو يحس بكيانه المعنوى

---

(33) ص : 130 .

ينهار ، وهو « الغريب في غربته » ، قد انفصمت عـراه ، وانبتت جـذوره ، فتملكه الضياع .

« أنا الآن وحدي ، لا مهرب لا ملاذ ، لا ضمان ، عـالمي كان عـريضا في الخارج ، الآن قد تقلص وارتد على أعقابه حتى صرت العالم أنا ولا عالم غيري. أين إذن الجذور الضاربة في القدم ؟ أين ذكريات الموت والحياة ؟ ماذا حدث للقافلة والقبيلة ؟ أين راحت زغاريد عشرات الأعراس ، وفيضانـات النيـل وهبوب الريح صيفا وشتاء من الشمال والجنوب ... » (34) .

ويحاول أن يثأر من ثقافته الدخيل كما ثار من أصالته العقيم ، فيهم بحرق غرفة مصطفى سعيد .. أبلغ رمز للحضارة الغربية وما تورثته عنـد من لم يحسن مراسها ، ولم يقو على رياضتها والتحكم فيها ، من انبنات واستلاب .. أو بعبارة أخرى ، يهم بأن يهدم الشق الثاني من ذاته ، فيتم بذلك الانتحار المعنوي ، ولكنه يتراجع ويعدل عن فعلته ، مستشعرا عبثية جهـده وانعـدام جدواه ، وقد أدرك أنه هو نفسه المسؤول الأكبر عن الكارثة ، وما هذا الحقـد القاتم وهذه الرغبة الشرسة المجنونة في الاخذ بالثأر الا مغالطة وتمويه .. نزعة هروبية .. محاولة للتنصل من مسؤولية الجرم الذي اقترفه ، اذ تقاعس عن أداء الواجب المناط به وحده دون الناس كافـة ، والتمثـل في مـواجهة المعضلة الطارئة في البلد مواجهة شجاعة كفئة مقتدرة لم يؤهـل أحـد لهـا غيره ، ولا قبل لأحد بها سواه .

وتقوده قدماه الى النهر ، فيسبح « تنفيسا عن غيظه » شوطا ، ويغلبه التيار فيستسلم الى قوته العارمة ويوشك أن يغرق ، وكأنمـا أتيحت له الفـرصة الكبرى للانتقام لولا أن ثارت غريزة البقاء فيه ، وانتفضت عزيمته ، فاختـار الحياة ، حبا ووفاء لقومه ، على الرغم من كل شيء ، استشعارا للواجب الذي لا بد ، وعلى أية حال ، من القيام به .

وما الصيحة : « النجدة ! النجدة ! » التي اختتمت بها الرواية الا رمـز للحمـة القـوية التي تربطه بأرضـه وقـومه ـ كالتحـام كيـانه بالحيـاة ، وكحاجته الملحة القاهرة اليها ـ بحيث لا حياة بدونهم ، ولا غنى له عنهـم ، أيا كانت الحال التي هم عليها ، اتحادا بهم وفناء فيهم الى الأبد .

(34) ص : 135 .

« درس » آخر من « الدروس » والمرامي المتعددة الكثيرة التي تزخر بها الرواية ، اعني وفاء المثقف الحق وإخلاصه لأرضه وشعبه ، تضامنا وصمودا مع إخوانه ، في السراء والضراء ، وإن في الدرك الاسفل من التخلف ، لانهم منه ، وحدة لا انفصام لها ، فهناك شرفه وحرمته ومعنى حياته .

وبعد ، فلعلنا نستطيع أن نستخلص من أهمية المضمون الاجتماعي السياسي الذي عرضنا له ، وأنه لم يكن مجرد إطار أو مسرح للاحداث بل هو لحمة الرواية وسداها يرتبط بالشخصيات والاحداث ارتباطا عضويا تستمد القصة منه قوتها وروعتها الدرامية ، أن الكاتب يرمي ، من وراء ذلك ، الى أن المعاصرة الحق ، في جوهرها وحقيقتها ، ظاهرة اجتماعية حضارية تتسم بالعمق والشمول ، وليست عمل افراد معدودين .. نخبة ضئيلة منطوية على ذاتها تعيش في برجها العاجي ، ولا بد أن تهم وتشمل جميع فئات المجتمع ، وأن تستقطب كافة الجهود والامكانات ، لا فرق بين مختلف طبقات الشعب ، ولا ميز بين المدينة والريف ، فالريف (وطبقات الشعب المتوسطة والدنيا عموما) خزان القوى ، ومستودع الطاقات الحية ، وسادن الأصالة الخام ، ولا تقوم المعاصرة الصحيحة السليمة الا على صراع بين قطبي الحضارة : المدينة والريف يؤول الى تفاعل مثمر ومشاركة بناءة .

كما أن المعاصرة ليست مجرد طلاء أو قشرا ، ولا يمكن أيضا أن تنحصر في الجانب المادي من الحياة ، فترقية وسائل الانتاج واصلاح نمط العيش أمر واجب ، على أن الاهم من ذلك تغيير العقلية تغييرا جذريا ، وتقويم النظرة الى الحياة ، وتهذيب أساليب التعامل والتفاهم والتعايش .

فاذا كان الامر كذلك ، فمن العبث — وهذه الحقيقة المرة والإجابة السلبية التي انتهى اليها الكاتب ، ولكنها منطلق الفعل ومبعث الامل — من العبث أن ننتظر أو نؤمل أن تتحقق المعاصرة في مثل هذا الوضع السياسي الاجتماعي السقيم المتردي الذي نقلت لنا القصة صورته .

وما رواية « موسم الهجرة الى الشمال » آخر الامر ، الا تحسس لسبيل المعاصرة ، ومحاولة مضنية لتبين شروطها ومقتضياتها . إنها رواية البحث والطلب والشوق والجهد ، وتبقى المعاصرة ، بعد ذلك ، مجرد « مشروع » ونقطة استفهام ، ولكن من ورائها إشارات وإيحاءات .

البشير المجدوب

أغنية البدء والانتظار

شعر: احميده الصولي

من أين يكون البدء ؟
وأرحام الشجر امتصت رائحة
الشجن
الحبلى بملايين الأوتار
من أين يكون البدء ؟
وأروقة التاريخ مزوقة
برفات ملايين الأشجار
للشمس سواعدنا ..
ولأحبابي تضميد جراح الشمس
على خاصرة الليل ..
أؤسس عبر الحنجرة الحوتية
اسنانا وأعض بها اعصاب السفن
كل غروب للشمس مثار للنقمة
في زمني
كل دبيب للظلمة في جسدي
الخشن
أعذاق تولد ميتة
اعناق تخنق ..

والريح معطرة الاعماق ولا تنطق
هذي الرجات مسرجة
تتسابق في جسدي
وارد على الأفك بعمر أستله من
عمري
من أين يكون البدء ترى ؟
فالريح انتشلت صاعقة من قلبي
أتسرحها في الظلمة ؟
أكبر من كل الظلمة صاعقتي

★ ★

ان الأنهار تداعبني همسا
اختاري اللحظات السكرى
واندفعي في صمتي ثائرة
إن الطاغوت يسلم باليمنى
ويشاغب باليسرى
أترقب تندى اللحظات
يسيل ضياعا قلبي
فالضفة لا تملك أن تغرق جثتها

★ ★

قاحلةٌ أشواقُك
مخضوبٌ بالأناة وجهُك ..
بالهمسة ..
والالقِ الحائرْ
لو تفتحُ هذي الساعةَ عينيكَ ..
ففي الأفقِ علاماتٌ لا لونَ لها
خضبتْها بالحلمِ الطافحِ في عينيك ..
تضوع فضاءاتك أُمنيةً
فأرسُمُها
انسانٌ يكبرُ

★ ★

هل تصغرُ أحلامُ الإنسانِ الكبرْ ؟
سيدتي ..
لي عندكِ أمنيةٌ
ما عدتُ لأخفيها
الحسّ الأوّل : لوني من لونك
فاقتربي
اللّونُ الأوّلُ :
من كلماتي تصرخُ فيكِ قضيتُنا
مهما احتارَ الدربُ فأنتِ أنا
وأنا أنتِ
صارخةٌ نبضاتكِ في وجهي
هل يوقدُ في عينيكِ صريرُ اللحظاتِ
لن تغتربي ثانيةً في ذهني

مهما طوحَ بي دربي
فأنا أنتِ وأنتِ أنا

★ ★

ضوضاءُ ..
وأنفاسي تجتاحُ صهاريجَ الحُمّى
فالشهقة تتلو الضحكةَ
والصبيةُ يجتازون تهورَهُمْ
والشّارعُ أغنيةٌ هدرتْ
أتوجّس أمنيةً تتلاطمُ في صدري
زمنا
أيتها الآهة لاتختزني صدري
انفجري في ظلماتِ الصدْر
ونامي ..
في الركنِ الموحشِ ..
ان الأشجار تغازلُ أفئدة المشدودين
إلى الضوء
وأنا أمخر في الظلماتِ ..
أطاردُ رائحةَ الضوءِ الروحيِّ
فضُمّيني

★ ★

هل نجمٌ يخفقُ ... يهوي ؟
هل ينبتُ في اليأسِ الأملُ ؟
احتارَ الصامتُ ألا يبدأ
فالرحلةُ مضنيةٌ جداً
والأعيبُ المشبوهينَ تفوح رياءً

انْ كانَ الأوّلُ مجرورًا
فالثّاني مَدْفُوعٌ
اينَ الدّافعُ ؟ قال الوَاقِفُ
اللحظةُ ثارَتْ زوبعةٌ أخرَى
وغبارُ السحناتِ يُذَرّيهِ غباءُ
قال الطائرُ : كنتُ هنا لكنّي هاجرتُ

وهنا عُدتُ ..
وإنّي في حلّ من عُشّي
أينَ الدّافعُ ؟ قال النجمُ الموغلُ
في السحبِ
التَفَتَتْ كلّ الأوْهامِ إلى الأمسِ
وقالوا : قَدْ مَاتَ .

احميده الصولي

من اخلاق عمر الفاروق

دخل « حذيفة » على أمير المؤمنين رضي الله عنهما فوجده مهموم النفس باكي العين ، فيسأله :

« ماذا يا أمير المؤمنين ؟ »

فيجيب عمر :

« إني أخاف أن أخطىء فلا يردني احد منكم تعظيما لى » .

يقول حذيفة : فقلت له :

« والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك إليه » .

فيفرح عمر ويستبشر ويقول :

« الحمد لله الذى جعل لى أصحابا يقومونني اذا اعرججت » .

رضوان ابراهيم
(1919 - 1976)
بقلم : د. أولغا فرولوغا

فى الاتحاد السوفياتى لم يكتبوا كثيرا عن الاديب العربى رضوان ابراهيم(*) مثلا فى قاموس الادباء المصريين لنيكولاى كوتسياريف نجد اسمه فى فصل أدباء لم يكن مؤلف القاموس يعرف عنهم شيئا غير الاسم . ومع ذلك نشاط رضوان ابراهيم الادبى يتميز بتنوع الاتجاهات ويفعم باهتمام حى نحو الادب الروسى والابحاث السوفياتية فى الآداب العربية . وقد ولد رضوان ابراهيم سنة 1919 فى مصر بمحافظة القليوبية وتخرج فى جامعة القاهرة ككلية دار العلوم ، وهذا فى سنة 1944 . وأول مقالة له نشرت سنة 1949 فى مجلة « الرسالة » .

ونرى فى نشاط رضوان ابراهيم الادبى عدة اتجاهات وهى :

ـ اتجاه أدبى ـ تاليف اشعار وقصص قصيرة ،

ـ اتجاه صحفى ـ اشتراك فى عمل مجلات وجرائد ، منها : « المقتطف » و « الرسالة » ، و « الأهداف » ، و « الثقافة » (مصر) و « الاديب » و « الآداب » (لبنان) و « الندوة » ، و « الفكر » ، (تونس) و « صوت البحرين » ، و « هنا البحرين » ، و « الحج » ، و « الاذاعة » ، (العربية السعودية) و « العربى » ، (الكويت) والى غير ذلك ،

(*) مقالة من مجلة « عام الاستشراق » بجامعة لينينغراد سنة 1979 ، رقم 6 ، ص 102 ـ 110 ، من تاليف أولغا فرولوفا رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها فى كلية اللغات الشرقية التابعة لجامعة لينينغراد .

ـ اتجاه علم الآداب ـ نشر النصوص والمخطوطات من تراث الادباء العرب وتأليف المقالات عن الادباء والشعراء العرب والمقالات عن الادب الروسى والمقالات النقدية والمقالات عن نشاط المستشرقين الروس والسوفيات ،

ـ اتجاه الترجمة ـ ترجمة من الروسى الى العربى ،

ـ اتجاه تدريسى ـ عمل كمدرس فى المدارس ونشر كتبا دراسية .

واذا بينا نشاطه كشاعر فعلينا أن نقول : إنه ألف قصائد عاطفية غنائية تتميز بالرومنطيقية والانفعالية . وأما المؤلف نفسه فكان يسميها « الشعر المنثور » . واذا القينا أنظارنا الى آداب العرب الحديثة فنجد مثل هذا الشكل الشعرى عند خليل مطران وأمين الريحانى وجبران خليل جبران . وعلى سبيل المثال قصيدته « غضبى » عن شعور الحزن وفراق الاحباب وقصيدته « التمثال » عن الهوى والوفاء وقصيدته « أصداء حب » عن جمال شعور الهوى والكلف . ومن ناحية الشكل قصائد رضوان ابراهيم مكتوبة بالشعر الحر والقافية منتظمة ولكن رسمها حر ورنينها جميل والاسطر الحرة تليها الاسطر المنظومة والايقاع واضح . مثلا :

ولن تمرح النسمة الفاجره
تزحزح عن ساقك الفاتره
حواشى القميص
وتنشر خصلاتك الفاحمه
على الجبهة الحلوة الحالمه
كطير يصفق فى غصنه
ليستقبل الرحلة القادمه (الأديب ، ابريل 1958)

والوزن هنا يمكن أن يقارن بالمتقارب والقافية الداخلية موجودة فى عدة كلمات : تزحزح ، تمرح ، فاجره ـ فاترة ، فاحمه . وكذلك يمكننا ان نلاحظ انسجام الاصوات فى أوائل الأسطر وتوازى الكلمات فيها ، مثلا :

على مطلع الفجر أرنو بعيدا ... بعيدا

لعل أراك

مع الظل يوقظ زهر الربا

مع النور يمحو خطايا الظلام

مع الطير يستقبل الفرحة الطالعه

مع الشمس تزجى خيوط السلام

مع النيل يضحك للمزرعه

مع القلب يخفق بالحب لك

ويهفو إليك

وبجانب القصائد العاطفية كان رضوان ابراهيم مهتما بالموضوع الاجتماعى السياسى . وقد كتب فى مقالته « الالتزام والأصالة » ما يلى :

« ... اذن فالفن أولا ... الفن الناضج المتكامل ليستطيع أن ينال شرف الدفاع عن القضايا الكبرى ... قضايا الشعوب وحقها فى الحرية والسلام والرخاء » (الأديب ، أكتوبر 1958) .

وسنة 1956 فى أيام العدوان الثلاثى ضد مصر ألف رضوان ابراهيم منشورات متجهة الى تلاميذ المدارس وفى احداها قصيدته « فى المعركة » وها هى أولها :

على خطوط النار إحنا أسود أحرار

نحمى البلد والجار ونرد الاستعمار

على خطوط النار

ورضوان ابراهيم تتضح أهدافه السياسية من احدى هذه المنشورات التى قال فيها : « نحن نريد الحرية لجميع الشعوب ... السلام لجميع البشر ... المساواة نبنى الانسانية ... العمل والخبز لكل الآدميين ... أن يعيش الناس من كل الأجناس والمبادىء متعاونين ... أن يكون العلم أداة تعمير ورخاء وسعادة لسكان العالم ! » .

وكذلك كان رضوان ابراهيم يعبر عن أفكاره فى قصصه القصيرة المطبوعة فى مجلات مختلفة وفى مجموعة قصصه « جراح شعب » وفيها قصص : « الشيخ مدبولى » و « غرزة الحشيش » و « الشجرة الملعونة » و « طريق العدم » و « خبز الحرب » و « ورقة التوت » و « الفرح » و « من جديد » و « الفيضان » . وما قصة « طريق العدم » فهى مترجمة الى اللغة الروسية . وفى أحسنها نرى أعلى قيم الآداب العالمية والعربية ونزعتها الفنية ـ الواقعية النقدية .

وفى ركن زاوية اهتمام رضوان ابراهيم ـ الناس البسطاء فى بلاده وهم فلاحون وعمال ونساء من الطبقة « اللي تحت » وأولاد الفقراء ومصيرهم صعب فى الحياة ويواجهون حياة قاسية . وفى كثير من القصص نرى تأثير الادباء من الجيل السابق على رضوان ابراهيم . مثلا ، قصة « الفيضان » مكتوبة بلا شك تحت تأثير « الشيخ جمعة » لمحمود تيمور . وبطل قصة « الفيضان » الشيخ ابراهيم مثل الشيخ جمعة انسان بسيط من صميم الشعب وفيه روح شعبية أصيلة وهو فيلسوف حقيقى يعيش على وجه هذه الارض القاسية بابتسامة الرضى كما تعيش زهرة فى الصحراء الرمضاء . ولكن عند محمود تيمور فى قصته لا نجد أسباب قسوة الارض ولا لطمات الرياح العاصفة العاتية ، وأما رضوان ابراهيم فهو يصف بطله فى ظروف حياته الصعبة عندما جدبت الارض فى مزرعته بسبب أنه تنازل عن ماء الترعة لمصلحة أسرة أخيه الذى استشهد فى معركة فلسطين وثم تنازل عنه لمصلحة أولاد فلاح فقير ، وقد حاول ابنه عبد الله أن يأخذ المياه من ترعة باشا مالك الاراضى فى القرية ، ولكن سرقة المياه أدته الى السجن فقط . ونرى ان الشيخ ابراهيم بطل القصة يحب الناس ويساعد الفقراء وفلسفته فى الحياة هى الصبر . ها هى كلماته الى ابنه : « كم مر علينا يا بنى ! وكم قاسينا فى سبيل الاحتفاظ بهذه التربة ! وكم بذلنا لها من العرق السخى والدماء الحارة ! وأخيرا غلبنا بصبرنا واصرارنا... أين هؤلاء من الغز والترك والمماليك والفرنسيين ... والانجليز ..؟ كل هؤلاء غلبناهم بسلاح واحد هو ... الصبر » (جراح شعب ، ص 163 ـ 164) .

وان فؤاد الشيخ ابراهيم الصافى هو سبب حب الناس اليه ولذلك عند السجن يجتمع هؤلاء الناس ويطلبون حرية ابن الشيخ ولا يتركون المكان طوال الليل حتى الصباح ، وفى الصباح فيضان النيل الغزير سقى اراضى كل الكادحين . وان فيضان بحر النيل هنا رمز ارادة الشعب المصرى فى

العدالة والحرية والسعادة للجميع. ويصف رضوان ابراهيم صور الحياة الريفية في مصر وهو خبير في ظروف القرية المصرية لانها منها : ولد فيها ونشأ فيها. وعلى سبيل المثال صورة الفرح في قصته « الفرح » ، التي نرى فيها كيف تستعد العروس للحفلة ونسمع الاغنية التقليدية « يا حنة ... يا حنة ... يا قطر الندى » ، ونراها على يدى الروس ونسمع الاغاني وزغاريد النساء وسرور الرجال . هذه القصة عن احتجاج المؤلف ضد الجهل والعادات القاسية والوحشية . أما قصة « الشيخ مدبولي » فبطلها مخادع غشاش يستعمل جهل النساء واعتقاداتهن في الخرافات ويأخذ منهن نقودهن وجواهرهن ، وتقع بسببه الأسرة الكاملة في حالة العوز والفقر عندما يمنع فلاحا من ان يذهب للعمل في السكة الحديدية بحجة انها من بناء الكفار . وفي هذه القصة نلاحظ تأثير محمود تيمور وخاصة قصصه « الشيخ سيد العبيط » ، و « عم متولي » ، و « رجب أفندي » ، حتى عناوين قصص رضوان ابراهيم فيها تشابه بقصص محمود تيمور . ويتجه رضوان ابراهيم بانتقاد حاد ضد الظواهر الاقطاعية في الريف المصري ، مثلا في قصة « الشجرة الملعونة » وصف تعذيب فلاح بضرب السياط . وموضوع مصير المرأة القاسي نراه في قصص : « خبز الحرب » ، و « طريق العدم » و « الفرح » . وفي القصص في مجموعة « جراح شعب » ينتقد رضوان ابراهيم شر الظروف الاجتماعية ولكن لا يرسم الطريق لازاحتها . فاول محاولة له أن يبين مثل هذا الطريق هي في قصته « ابن الثورة » المطبوعة في « سلسلة القصص النموذجية لمكتبة النشء العربي » سنة 1960 وبطلها يتيم عديم البيت فقير يسعى الى طريق النجاح بمساعدة الدولة وكده المستمر ، وفي أول القصة تطرده بنت الباشا القاسية ويصبح اليتيم المسكين على حافة الموت ، ولكن بعدما ذاقت هي بنفسها صعوبات الدنيا تغيرت وتزوجت بهذا اليتيم الكدود . وان في هذه القصة نرى بوضوح قوانين الاصلاح الثورية في أيام الرئيس جمال عبد الناصر وتأثيرها على الحياة المصرية ومنها مساعدة الدولة لليتامى والمتسولين وتكوين المزارع التعاونية وتقديم المساكن للعمال والفلاحين وتقديم الماء النظيف لهم والمساعدة الطبية والى غير ذلك .

وكتابة القصص للشبان شيء طبيعي في نشاط رضوان ابراهيم الادبي وهو ليس أديبا فقط بل هو مدرس ومعلم وانه قام بالتدريس في المدارس الثانوية في بداية طريقه منذ سنة 1946 ، واول كتاب له كان كتاب « النصوص الادبية ، كتب مدرسية » (القاهرة ، 1949) . ويوجه رضوان

ابراهيم بعض مقالاته فى المجلات الى رجال التربية والتعليم (مثلا فى « المقتطف » ابريل ومايو سنة 1951) . أما فى سنة 1960 فظهرت الى النور « المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون » وقد قدم له وزير الثقافة المصرى فى تلك الايام ثروت عكاشة كاتبا ما يلى : « من السمات البارزة للعصر الحديث العناية بتراث الماضى ودراسته وتفسيره ، فقد آمن المحدثون بأن الماضى ليس شيئا مضى وزال ، وانما هو يرتبط بالحاضر أوثق ارتباط ويؤثر فيه أبلغ تأثير ، ... والثقافة اليوم لمْ تعد وقفا على الخاصة وانما هى حق للخاصة والعامة على السواء، ومن هنا نبتت فكرة تقريب هذا التراث ، وتيسير أمهاته، بنشر مختارات منه وتناوله بالشرح والتبسيط وتصديره بمقدمة تعرف بالكتاب وباغراضه ، ودراسة عن المؤلف وحياته ومنهجه وآثاره ... ... » . ومختارات من مقدمة ابن خلدون قد حققها رضوان ابراهيم ووهبها للقراء من الدوائر الواسعة مقدما لهمْ من جديد هذا المؤرخ الاجتماعى العربى العظيم .

وبقلم رضوان ابراهيم عدة مقالات فى الآداب العربية قديما وحديثا . وهو كان يحب الشعر العربى ونجد نحن صدى أصوات الشعراء العرب من البلدان المختلفة على صفحات أعماله الادبية ومن أهمها نشر وتقديم بحث لأحمد زكى أبى شادى « شعراء العرب والمعاصرون » سنة 1958 . وقد كتب رضوان ابراهيم عن ابن زيدون وأبى القاسم الشابى وأحمد شوقى ونزار قبانى وغيرهم فى مجلات : «الاديب » (مارس 1956 ومايو ويونيو 1958) و « صوت البحرية » (مايو 1954) ، و « الندوة » (يونيو 1965) والى غير ذلك .

وفى سنة 1963 تخرج رضوان ابراهيم فى القسم المسائى لمدرسة الالسن العليا بتخصص فى اللغة الروسية وبدأ فى ترجمة الادباء الروس الى العربية، وقد ترجم قصص لأنطوان تشيخوف وهى : « السيدة المجهولة » (فى « الأديب » يناير 1963) و « ورقة اليانصيب » (فى « الأديب » ابريل 1963 ، و « مغنية الكورس » (فى « الآداب » يونيه 1963) ، و « دعابة » (فى « العربى » يونيه 1963) . وترجم كذلك من مؤلفات مكسيم غوركى وأركادى حيدر . مثلا : قصة « الحجر الساخن » فى « النضال العربى » يونيه 1963 ، وكذلك يورى ناجيبين ، مثلا : قصة « البلوط الشتوى » (فى مجلة «الكاتب» ديسمبر 1964) ، وغيرها . وحتى الآن توجد فى أرشيف رضوان ابراهيم الخاص نصوص بعض القصص المترجمة من الروسية غير المنشورة . ويمكننا

القول : إن رضوان ابراهيم قام بتعريف وسائط القراء العربية فى البلدان المختلفة بالثقافة والآداب الروسية .

وكان رضوان ابراهيم يهتم بمؤلفات المستشرقين السوفيات ومنها مؤلفات اغناطى كراتشكوفسكى ، مثلا ترجم مقالته « حماسة البحترى وأول من حققها فى أوربا » ، ومؤلفات المستشرقين الآخرين عن ثورة 1952 فى مصر وعن أمين الريحانى وعن ابن خلدون وعن يوسف ادريس وعن تأثير الادب الروسى ، وخاصة تشخوف ، على الادب العربى ، وكتب مقالات نقدية عن مجموعات قصص مترجمة من العربية الى الروسية مثل : « الوجه الجديد » (قصص تونسية) ، و « الجسر الحى » (قصص المقاومة الفلسطينية) . وهذه المقالات منشورة فى جريدة « الصباح » التونسية (سبتمبر 1972) ، وفى مجلة « الآداب » البيروتية (سنة 1973 رقم 9) .

رضوان ابراهيم معروف فى وطنه وخارجه كشاعر واديب وكباحث أدبى ومترجم وكناقد أدبى ومدرس وإن نشاطه واسع جدا وثقافته واسعة رائعة ، وسيعيش اسمه فى ذكرى الشعوب خالدا الى الأبد .

د. اولغا فرولوفا

الشَّـــدِّي

قصة : جواد صيداوي
(باريس)

« إلى الناجين من اطفال صبرا وشتيلا »

باب الكوخ يفضي الـى الزقـاق الترابى مباشرة . قبالة الباب جـدار تزدحم فوق بياضه الشاحب كتابات وشعارات مختلفة ، منها ما هو مخطوط بعناية ، ومنها ما هو مكتوب على عجل . على جانبي الزقاق الترابى الضيق أكواخ متلاصقة يخيل للناظر اليها أنها تتدافع بحنق بسبب ضيق المكان . كان باب الكوخ مفتوحا . فتح الطفل النائم داخـل الكوخ عينيـه مع بدايـة النهار ، ولكن الهدوء الشامل فى الداخل والخارج أعاده الى ما يشبه الغفو ، كان مغلق العينين يقض الاحاسيس ، ضـوء الشمس المتسلسـل بين منافذ الزقـاق يلج عبر الباب المفتوح ويقنعـه أخيرا بأن الليل قد انتهـى . رفع رأسه عن المخدة قليلا . نظر حواليه دون أن يصوب نظراته نحو شىء معين . نادى أمه فلم يحظ بجواب ، نادى أخته مريم ثم أخاه أحمد ، لا شىء سوى الصمـــت .

الصمت فى كل مكان . صمت غير مألـوف . حتـى محتويات الكـوخ المبعثرة والتى اعتاد على ثرثرتها ، تبدو خرساء تماما .ثمة قدر مـن الغبار المتطاير تلوكه أسنان الشمس علـى مقربة من البـاب . عرك عينيه بيديـه الاثنتين . عاد يتطلع حواليه وهو يحك خاصرته . تذكر وهو يوزع نظراتـه فى الفراغ أنه سمع أو خيل اليه بأنه سمع صراخا حادا أثناء نومه ثم هدأ كل شىء هدوءا شاملا . جلس وسط فراشه وهو موزع النفس بين رغبات عدة . نادى أمه ثانية بصوت عال يشبه البكاء . إنها موجودة فى مكان ما على مقربة من الكوخ وستأتى اليه حتما لتغسل وجهه ويديه ونصف جسمـه الاسفل . أزاح الغطاء الرقيق عن ساقيه وانتصب واقفا وسط الفراش . تثاءب طويـلا وهو يرفع يديه المقبوضتين نحو طرفـى رقبته . جميـع محتويـات الكـوخ مبعثرة ومرمية فـى غير أماكنها . من الصعب الاهتداء الـى المكـان الـذى

اعتادت أمه أن تحفظ فيه الخبز . لقد تشاجر أخواه بدون شك كعادتهما قبل أن يغادروا الكوخ الى أزقة المخيم ليلعبا مع اترابهما لعبة القتال . لماذا لا تصل الى سمعه صيحات الاطفال من الازقة ؟ . القذائف الفارغة والمختلفة الاحجام التي جمعها أخوه ورتبها في احدى الزوايا تنتشر على نحو فوضوى تقدم نحو باب خلفي صغير ووقفت فوق العتبة الحجرية . أمسك ذكره المنتصب بأصابع يديه وصوبه بعناية نحو الخارج ثم أطلق بارتياح وهو ينظر الى البول المزبد في حفرة الرمل الصغيرة . عاد يبحث في جنبات الكوخ عن الخبز أو عن أى شيء يؤكل . انتبه الى أن نصف جسمه الاسفل عار تماما . ستأتي أمه بعد قليل لتعتنى به وتلبسه ثيابه وتطعمه ثم ينطلق الى الازقة ليلتقي باترابه . ولكنه جائع جدا . عاد ينادى أمه وأخويه . جلس على طرف الفراش . أبصر بورقة الى جانبه فالتقطها وطواها ، ثم بسطها ثم عاد فطواها وبسطها ثانية ، ثم فركها بيده بعصبية ، ثم بسطها وقطعها قطعا صغيرة نثرها حوله . أرسل نظراته عبر الباب الى الخارج . الكتابات السوداء على الجدار المقابل تشد انتباهه . كان بعض شباب المخيم يتشاجرون بأصوات عالية بسبب هذه الكتابات . فى أعلى الجدار وفوق بعض الكتابات عدد من صور الاشخاص الملصوقة بدون أى نظام .

كان الصراخ الذى سمعه أثناء نومه قويا حادا حتى خيل اليه ان سقف الكوخ قد أطبق على أرضه . نهض عن طرف الفراش وتقدم نحو الباب المطل على الزقاق . أشعة الشمس تزداد حدة . فرك عينيه وجلس فوق عتبة الباب . الشمس تلسع وجهه وساقيه تحرك بجسمه نحو حافة الباب حيث يوجد قليل من الظل . قدماه العاريتان تلامسان رمل الزقاق الحار . أسند ظهره الى الفراغ وهو يعقد أصابع يديه حول احدى ركبتيه . بعض الوجوه البادية في الصور الملصوقة قبالته في أعلى الجدار تعبر مخيلته على نحو غير واضح تماما . فك أصابع يديه وهو يصلح جلسته فوق عتبة الباب ليحفظ توازنه . احساسه بالجوع يزداد حدة ، بل هو احساس بالجوع وبالظمأ في وقت واحد . لقد تأخرت أمه بالعودة . الزقاق خال تماما من الناس على غير عادته . لا شيء سوي بقع الشمس الموزعة هنا وهناك وما ترسمه من خيالات على جدران الاكواخ . ملمس الرمل يدغدغ أسفل قدميه. أين اختفى الناس؟ ربما كانوا مختبئين من الطائرات في كل مرة كانت تأتي فيها الطائرات كانت أمه تلتقطه من الزقاق على عجل وتغور به في مكان ما في باطن الارض . لماذا لا يتصايح الاطفال في الازقة والمسارب كعادتهم ؟ انهم يلعبون لعبة القتال ، وفي لعبة القتال يخفى المتحاربون أنفاسهم حتى لا

ينتبه العدو الى أماكنهم . انهم هناك فى المنعطف القريب حتما . سيتسلح بقطعة طويلة من الخشب ويفاجئهم . سوف يصرخون من الرعب .

نهض من مكانه بحماس ليبحث عن قطعة خشب فى زوايا الكوخ . ما من شيء من محتويات الكوخ فى مكانه . أزاح كرسيا خشبيا فوجد تحته ابريقا من البلاستيك مقلوبا على جانبه . تذكر أنه عطشان جدا . تناول الابريق بيديه وأدخل فوهته الصغيرة فى فمه وأطبق شفتيه بقوة ، ثم رفع الابريق عاليا وهو يحنى رأسه الى الوراء قدر استطاعته فانحدرت من الابريق بعض النقاط القليلة . زاد من احناء رأسه الى الوراء وهو يمص الفوهة فترة من الوقت ، وعندما شعر بالتعب أعاد رأسه الى وضعه المستقيم وفوهة الأبريق باقية بين شفتيه ، عض الفوهة برفق ثم أخذ يحرك رأسه والابريق صعودا وهبوطا والفوهة دائما بين شفتيه . هدا قليلا ثم عاد يعض على الفوهة بقوة ، ثم أبعد الابريق عن فمه وهو يحدق بفوهته ثم رماه بعيدا .

وقف وسط الكوخ لا يدرى ماذا يفعل . عادت صورة الاطفال المختبئين فى المنعطف القريب الى ذهنه . اطلق من فمه أصواتا قصيرة متسارعة تشبه صوت طلقات الرصاص . سيخيف الاطفال كثيرا . توجه نحو الزقاق دون أن ينتبه أن نصف جسمه الاسفل ما زال عاريا . وقف بمحاذاة الجدار المقابل وهو يلتفت حواليه . لا اثر لاى مخلوق على الاطلاق . انها الطائرات كيف نسيته أمه ؟ تقدم ببطء دون أن يبتعد عن الجدار . ثمة رائحة غريبة لم يدر كنهها أو يعرف مصدرها . أسنان الشمس تنهش رأسه ووجهه . توقف قليلا ونظر الى الوراء . تذكر انه سمع أثناء الليل أصواتا عالية فاختبأ فى حضن أمه تحت الغطاء ، وشعر لشدة التصاقه بحضن أمه أنه دخل الى احشائها فاطمأن وعاد الى رقاده . عاد يتقدم نحو المنعطف بخطى بطيئة . أبصر فوق الرمل خطا شديد السواد وسريع الحركة من النمل الكبير الحجم . كان الخط الاسود يبدأ من ثقب فى الجدار المقابل ثم يعبر الزقاق ويغيب فى المنعطف . كانت أمه تردد دائما بان النمل ، اذا هجم ، لا يبقى على شيء فى المنزل . وضع احدى يديه بحركة غريزية على أعضائه التناسلية وهو يبتعد بضع خطوات الى الوراء . نادى أمه بصوت مرتعش . نادى اخويه . عاد يحدق فى حبال النمل المتشابكة ذهابا وايابا . أخواه يلعبان مع اطفال المخيم لعبة القتال .

تناول من على الارض حصاة صغيرة وقذفها نحو الخط الاسود المتحرك بسرعة . الخط الاسود يضطرب بعنف ويتسع ثم يعود الى انتظامه .. تقدم

بحذر . يجب ان يفاجىء الاطفال ويخيفهم ، ثم يأتي بهم جميعا لمحاربة النمل وابادته . تحاشى أن يدوس على النمل بقدميه العاريتين . الذباب ملاحقه بتشبث بزوايا عينيه حيث يتكاثر النمل بتكاثر الذباب دائما . يجب ان يسرع قبل ان يشن الاطفال هجومهم فتفشل خطته . مد ذراعه اليمنى الى الامام وجعل قبضة يده شبيهة بالمسدس . تقدم ببطء حذر ولدى وصوله الى حافة الجدار انعطف بسرعة وهو يطلق من فمه صيحات متسارعة ، ثم خفت صوته فجأة ، ثم اختفى تماما ، بينما بقيت شفتاه متفرجتين . لقد قتل الجميع .

الجثث تملأ الزقاق الضيق . وقف مشدوها وقد استبدت به الرغبة بالبكاء . نظر الى الجثث المتراكمة والجثث المفردة بعينين زائغتين وهو يحاول طرد الذباب عن وجهه . تلك أمه . أمه بالذات . لم يعد مهتما بالجثث الاخرى . تلك أمه . كانت عارية الصدر عارية الساقين . الذباب والنمل يحجب وجهها . حدق في ثدييها ، وانحدر بنظره الى حفرة سوداء كبيرة وسط بطنها مليئة بالنمل والذباب والدم . انطلقت من بين شفتيه حشرجة خافتة « ماما » . بحث بعينيه في جميع الاتجاهات عن كائن حي . لقد جاءت الطائرات في الليل وقتلت الجميع . من جمع القتلى في هذا المكان بالذات ؟ بحث عن أخويه فلم يجدهما . اقترب من امه فتناثر الذباب والنمل على نحو مخيف . تراجع قليلا الى الوراء . ثم عاد واقترب منها ثانية . انحنى ولمس يدها بحذر وهو يناديها باكيا . ما زال الخاتم الابيض في اصبعها حاول طرد الذباب والنمل على وجهها فكانت تبتعد قليلا ثم تعود . عاد يحدق في ثدييها العاريتين ثم في الحفرة السوداء المخيفة وسط بطنها . ماذا جرى لها ؟. ثمة مزق من ثوبها متغلغلة وسط الحفرة السوداء ، ربما من تلك الحفرة خرج في الليل من أحشاء أمه وعاد الى فراشه بعد ان هدأت أصوات الجن . حرارة الشمس تزداد حدة . الرائحة الغريبة التي أحس بها قبل قليل تملأ أنفه وفمه وعينيه . لا يريد الابتعاد عن أمه .

جلس فوق التراب قرب صدرها العاري دون ان ينتبه الى أن نصف جسمه الاسفل عار أيضا . لم يعد النمل يخيفه ، ولا الذباب المتشبث بالحاح بزوايا عينيه وزاويتي فمه يزعجه . انه بالقرب من أمه ، بل يكاد أن يكون في حضنها ، وكلتا ثدييها بمتناول يده ومتناول فمه . لماذا ماتت أمه ؟ وكيف ماتت ؟ ؟ لو كان كبيرا ، أو كان أبوه وأخوه الاكبر موجودين في المخيم باسلحتهما لما ماتت أمه ، ولما مات أخواه ، ولما مات جميع

هؤلاء ليصبحوا مرتعا خصبا للنمل والذباب . عاد يحاول طرد النمل والذباب عن وجه أمه ، يريد أن يرى عينيها ، ولكن النمل والذباب لا تأبه له لانه صغير ، ولانه لا يحمل سلاحا ولكنه سيكبر حتما ، سيصبح قادرا على حمل السلاح وعلى استعماله باتقان . الرائحة الحادة جعلت عينيه تدمعان بغزارة . الرجل الراقد على مسافة بضعة أمتار من مكان أمه تبدو أسنانه القليلة الصفراء كمن يضحك مكرها . جميع شعرات لحيته بيضاء ، واحدى قدميه بدون حذاء . تفحص وجوه بعض الراقدين حوله . دم أسود وتراب ونمل وذباب .

انطلق صوته بالبكاء رغما عنه استمر يبكي ثم تحول بكاؤه الى أنين متصل . عاوده الاحساس بالجوع والعطش . نظر الى الثدى القريبة منه . الذباب يحجب الحلمة الضامرة ويتوزع على الثدى . تذكر فوهة الابريق الجافة . مد يده الصغيرة وطرد الذباب عن الثدى بحركة عصبية حتى تعبت يده فتركها تستريح على طرف الثدى . خيل اليه أنه يسمع أصواتا بعيدة . بعض الذبابات تؤذى أصابعه فحرك يده ووضعها فوق الحلمة الضامرة . الاصوات البعيدة تقترب . أسنان الشمس تنهش وجهه . عندما يكبر سيقاتل حتى الشمس . مال برأسه وأسنده الى ذراع يده التي تحمي الثدى من الذباب ، اغلق عينيه ثم فتحهما بصعوبة . الحفرة السوداء في بطن أمه تتسع وتعمق الى ما لا نهاية . الحشرات تتحول الى كائنات رهيبة لا وجوه لها . الدماء تتفجر بغزارة وتملأ الحفرة السوداء ثم تغمر كل شيء .

الموتى ينهضون من أماكنهم . لا نمل ولا ذباب ولا دماء . أمه تحضنه برفق . أخواه يتصايحان مع أطفال الزقاق . الطائرات تعود فجأة وتقصف المخيم بعنف . الاجساد والحجارة والخزائن وارغفة الخبز وجرار الماء تتناثر في جميع الاتجاهات . نداءات وصيحات حادة تملأ فضاء المخيم . أمه تلتقطه وتهرب به وباخويه بعيدا . ومع الخوف يزداد التصاقا بحضن أمه ويتشبث بصدرها . حلمة الثدى تستقر في فمه فيشعر بالاطمئنان . شفتاه تطبقان على الحلمة . اللبن الدافىء يتدفق بغزارة في فمه ويتوزع في جميع انحاء جسمه انه يكبر بسرعة ويغدو رجلا فلا يجرؤ الذباب على الاقتراب منه . أسنانه تعضان حلمة الثدى برفق . لا يريد الابتعاد عن الثدى . لا يريد الابتعاد عن الثدى . وعندما شعر ، وسط الصياح ، بجسمه يرتفع في الهواء كان طعم لبن الثدى ، أو ما يشبه طعم لبن الثدى ، يملأ فمه .

جواد صيداوي
(باريس)

شعراء مجريون

الـزّمَنْ ... والصّيت ...

تعريب : محسن بن حميدة

ولد زريني سنة 1620 بمدينة ازولي Ozoly في أسرة شهيرة وتلقى تربية وتعليما رفيعين واقام بعدة بلدان إقامات مديدة خاصة بايطاليا وتنقل فى مناصب عسكرية ثم صار رجل سياسة لكن الاهم هو أنه أول وأعظم شاعر مجري كان يحظى بشهرة واسعة فى عصره فى جميع البلدان الاوربية وخاصة لدى الملوك بما فيهم لويس الرابع عشر كما كان المثل للقومية والنضال المجريين لكنّ حادث صيد تافه أنهى مبكرا حياته التى كان ملؤها النجاح والمجد وذلك سنة 1664 ولم يبلغ الخامسة والاربعين فبكته أوربا كلها.

يَرْحلُ الزمنُ مُجنَّحا
لاَ شيء يَنْتَظِرُ أبدَا
يَجري سَيْلُهُ دفّاقا
إلى الوَرَاء لا يَعُود أبدَا
يَدُكُ كلَّ شيء دكا
ويُبْسِط على الكلّ سُلطانَه
يقضِي على كلّ على السّواء
لاَ فرْقَ بينَ فقير وغَني
ولاَ شيءَ يَثْبُتُ أمامَهُ
ومِنَ الزَمنِ وفتكه
ليْس فِي مأمن سوى شيء واحد
لا يَخشَى حدّ منجلَه
ولا سرْعةَ سطو جناحه
يذُوبُ الزمنُ عند مُوَاجهته

ويَبْقَى خالدًا إلى الأبدِ
ذلكَ الموفّقُ مِنَ المجد
هُوَ الصيتُ الساطع
فلا بالقلم ولا بالمدادِ الأسْوَدِ
ولَكنْ بحدّ رُمحِي
وبِدم عدُوّي
أخط صيتي الخالد
لوْ لمْ يحوني القَبْرُ لغشّتني السماء الزرقاء
لكنْ لتكنْ آخر ساعاتي ساطعه
ولا يهمني افترَسَتْني الذّئابُ أو نَهشَتْنِي الأغربَةُ ؟
فأنّى نكنْ فالسماءُ مِنْ فوقنا والأرض من تحتنا .

العلوم الصحيحة عبر الحضارات

بقلم : د. محسن العيادي

... هذا الموضوع من أصعب المواضيع العلمية والفكرية ؛ ذلك ان المكتبات اليونانية والرومانية والعربية والاسلامية تقل فيها مثل هذه البحوث العلمية فقد تضخمت المكتبة العربية والاسلامية فى العلوم الادبية والعلوم الفلسفية والمنطقية والانسانية بصورة عامة ؛ الا أن البحوث الرياضية والهندسيه تقل فيها اذا ما قارناها بالعلوم الانسانية ، وهذا الحكم ينطبق على سائر الامم الاخرى التى ما زالت فى طور النهوض ... بينما الدول المتقدمة أصبحت هذه العلوم فيها تخدم كل أنواع المعارف وأصبح الحساب والجبر والهندسة يدخل فى كل فرع وفى كل ميدان من ميادين التخصص فـ « الآداب » و « الفلسفة » و « الفنون » و « العلوم » كلها تخضع الى مقاييس محددة ... وقد تطورت هذه العلوم عند الاوربيين واليابانيين والامريكيين وأصبحت الصناعات والتقنيات والتكنلوجيات الحديثة تخضع الى هذه المقاييس العلمية وها نحن اليوم فى القرن العشرين نرى صيحة تجديدية من أوربا تنادى باستخدام « الحسابيات العصرية » ، وهذه الصيحة ضد النظريات القديمة والكلاسيكية لان الحسابيات العصرية تعتمد على : « المجموعات العقلانية » ، والقوانين المنطقية وربط هذه المعارف بواقع الانسان اليومى مع مراعاة خدمة هذا العلم فى الحياة اليومية لخدمة البشرية فنتج عن ذلك « الكمبيوتر » أ « العقل الالكترونى » كما ظهرت ايضا الحاسبات الكبيرة والصغيرة فى شتى أنواع المعارف .

* * *

وبهذه المقدمة البسيطة احاول الرجوع الى صلب الموضوع موضوع الحديث حول العلوم الصحيحة أو الرياضيات واقصد بذلك « علوم الجبر والهندسة عبر الحضارات » .

تعريف الرياضيات : هى علم وفن ولغة لها دلالات ورموز ، يطلق عليها بالفرنسية : (Mathèmatiques) وبالانجليزية : (Mathèmatics) : وهى عبارة عن مجموعة من العلوم الحسابية والهندسية تشمل فئة الرياضة البحت التى تعنى بالحسابيات والجبر والهندسة وحساب التكامل والتفاضل ... وفئة الرياضة التى تعنى بالآليات وعلوم الفلك والبصريات ... الخ ... وقد عرف البعض بان **الرياضة** : هى تهذيب الاخلاق النفسية بملازمة العبادات والتخلى عن الشهوات عند علماء الصوفية ، ومنها أيضا : **الرياضة البدنية : وهى** القيام بحركات خاصة تكسب البدن قوة والعضلات مرونة رياضية .

ويعتقد البعض ان الرياضيات علم جاف شديد الجفاف ؛ وان هذا العلم يضم مجموعة من الحقائق الابدية تركها لنا السابقون وأضاف عليها اللاحقون. وأن بامكان العلماء والمهندسين وغيرهم أن يعتمدوا على هذه الحقائق فى أعمالهم ويستخدموها متى ارادوا فى مختلف المجالات العلمية ... وانه فى فن الرياضيات أكثر من مجرد الحقائق الرياضية الاصيلة : بعيدة عن الحواس ، لا تخضع للشم أو اللمس أو القياس . وليست فى حاجة لحفظ الثوابت الرياضية فى درجة معينة من الحرارة أو تحت ضغط محدود ، كما هى الحال مع ثوابت العلوم الطبيعية . فالنسبة الثابتة لا تحتاج الى عناية كما يحتاج « المتر » أو « الكيلوغرام » . ويعمل الباحثون فى الرياضيات على بناء الهياكل من النتائج على فرضيات أو مصادرات تؤخذ ولا يسأل عن أسباب ذلك . ثم ينتقل الباحثون الى بناء الروابط المنطقية المحكمة مع شمولية فى التناسق التام بين الفرضية وبين النتائج والبرهان .

اما صفة الرياضيات اللغوية فان أسلوبها محكم ومحددة المعانى ، وهما معروفان فى العلوم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية ، والسلوكية وبذلك أخذ الباحثون فى مختلف فروع المعرفة يستخدمون الرياضيات فى تطوير البرامج والمعارف « الجديدة » و « المتجددة » ، مع تطور العصر وبذلك يحددون النتائج الجديدة التى توصلوا اليها باستخدام الحسابيات فى وصف الاشياء وظواهرها وحتى فى التعليق عليها ....

وهذه العلوم « الرياضية » ، أو ما نسميها بالعلوم « الصحيحة » ، تمتد جذورها الى أبعد من خمسة آلاف سنة. ففى الحضارات القديمة نقلت عن الاقوام المتحضرة « نظريات » عديدة فى علم الهندسة والجبر ومن ذلك نظريات : « فيثاغورس » ، عن الحضارة اليونانية القديمة ؛ كما نقلت أيضا المعادلات

الجبرية من الدرجة الثانية وأنواع أخرى من الدرجتين الثالثة والرابعة فى علم الجبر .

... ومعرفة الانسان الاول بالرياضيات قد بدات من الطبيعة ذاتها من تشكل المستقيم والنقطة ومن شكل المستدير المشابه لجذوع الاشجار والمثلث والمربع ، واشكال الخطوط المستقيمة والمنحنية والمخروطية والمعنية والهرمية . والمستطيلة الخ الخ ... والانسان الاول بدأ بعد الاعداد المحسوسة واحدا مقابلا لواحد من المحسوسات تم تطورت معرفته تدريجيا حتى اصبح يعد بدون معدود ... وهذه خطوة عظيمة فى التجديد خطتها الرياضيات فى مسيرتها الطويلة عبر الحضارات .

* * *

فالاغريق مثلا وهم أقدم الامم بعد الفراعنة فى معرفة هذا الفن بتجمع معلومات كثيرة فى الجبر والهندسة لدى الاقوام السابقة وكان مع ذلك ينقصها الربط المحكم ، فأخذوا عنهم وأدخلوا المنطق فى ربطها وأضافوا لها ولاول مرة فى التاريخ نرى عند اليونان هيكلا جميلا فى الرياضيات المقننه : واستطاع « اقليدس » فى كتابه الموسوم بـ « أصول الهندسة » ان يقيم بناء عاليا يرتكز على مجموعة قليلة من المصادرات والتعاريف ويفيض بالنظريات مثلما يفيض الماء الدافق من منبع معطاء .

وكان « اقليدس » فنانا وعالما لغويا كما كان معلما من احسن طراز .

وكانت جامعة الاسكندرية التى عمل فيها « اقليدس » يومذاك مركزا علميا مرموقا · ولم تقتصر الحضارة الاغريقية على الاسكندرية فقد انتشرت فى أرجاء بلاد اليونان وازدهرت فيها الرياضيات وبخاصة الجبر والهندسة على أيدى علماء اجلاء من بينهم « دايوفنتس » و « بابس » و « أبولونيس و « بروكلس » و «فيثاغورس » و « ارخميدس » .

* * *

اما الحضارة العربية الاسلامية : فقد بدأ الباحثون فيها بدراسة الرياضيات الاغريقية المتقدمة عليهم فى الحضارة . وشغف العلماء العرب والمسلمون بهذه العلوم ونقلوها الى العربية بتوسيعات مبتكرة وتعليقات وشروح أصيلة ، وكان كتاب «الاصول الاشهر» من بين الكتب التى ترجمت الى العربية مرات عديدة ومنها ما يعود الى « ثابت بن قرة » و « نصير الدين الطوسى » و « الحجاج بن مطر » وغيرهم ، هذا فى الهندسة . أما الجبر فقد ترجموا كتاب

« القطوع المخروطية » لـ « بروكس » وكتاب « التحليل » لـ « دايوفانس » ، واجروا عليها تعليقات وملاحظات قيمة ... وبعد هذه المرحلة دخل العرب والمسلمون مرحلة التاليف ... فكتب « نصير الدين الطوسى » كتابه النفيس: « أصل القطاع » ، ضمنه كل ما هو معروف اليوم فى المثلثات ، كما نشر « ثابت بن قرة » بحوثه القيمة حول الكرة والسطوح الدورانية . وتعتبر البحوث التى أنتجها ابن « الهيثم » و « الابهرى » و « عمر الخيام » - فى نظرية التوازى - الاساس الذى ارتكز عليه « ساكيرى » و « والس » و « لامبرت » اذ فيها توصلوا الى مقدمة الهندسة الاقليدية ...

وفى الجبر : توصل « الكاشى » فى كتابه « مفتاح الحساب » الى اختراع الكسور العشرية . كما استطاع « الكرخى » فى كتابه « الكافى » ان يعالج الجذور الصماء بمهارة فائقة . وكان « محمد بن موسى الخوارزمى » من أول من أعطى للجبر اسمه المتداول وذلك فى كتابه الشهير «الجبر والمقابلة» الذى استخدم مصدرا لتدريس الموضوع فى الجامعات الاوربية أكثر من ثلاثمائة عام . وتعتبر بحوث « الخوارزمى » و « الخيام » فى حل المعادلات الجبرية بالقطوع المخروطية نموذجا رائعا لـ « الجبر والهندسة » .

كما تعتبر النتائج التى توصل اليها « السموأل المغربى » فى كتابه « الباهر والزاهر » حول « الحدوديات » و « المتطابقات » و « المتواليات » و « المعادلات السيالة » امثلة واضحة للبحوث الجبرية الاصيلة !

ومن مشاهير علماء الجبر والهندسة عند العرب :

« قطب الدين الشيرازى : (1236 - 1311 م) وهو من علماء الطب والفلسفة والفلك والرياضيات له كتاب « فى حركات الدحرجة والنسبة بين المستوى والمنحنى » وقد توفي فى « تبريز » .

ومن مشاهير علم الجبر والهندسة عند العرب :

القلصادى : وهو (أبو الحسن أحمد - البسطى) ولد فى باجة (بافريقية) أى « تونس الآن » وهو حساب تعلم فى غرناطة وتلمسان وتونس العاصمة (توفي 1486 م) وله مخطوط « كشف الاسرار عن حروف الغبار » ما زال مخطوطا بباريس . والقلصادى هذا من علماء العلوم الصحيحة كرمته اللجنة الثقافية بـ « باجة » بايعاز من وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية واطلقت اسم هذا الرجل على ملتقيات تعقد تحت اسم « ملتقى القلصادى للعلوم الصحيحة بباجة » . بعد كل ثلاث سنوات ...

ومن مشاهير علماء العرب والمسلمين فى العلوم الصحيحة أيضا :

المحلى محمود بن قطب ، وهو حساب مصرى الف جدولا مشتملا على استخراج « درج الشمس من التاريخ القبطى » توفي سنة 1668 م.

ومن المشاهير من العلماء ايضا فى هذا الفن :

« ابن البناء المراكشى » (ت 1321 م) و « ابن الشاطر الموقت » فى الجامع الاموى (ت 1375 م) و « ابن الهاشم الفرضى شهاب الدين » (ت 1412 م) و « شهاب الدين ابن طيبوغا المجدى القاهرى » (ت 1446 م) و « بدر الدين محمد سبط الماردينى » (ت 1486 م) .

* * *

وفى الاندلس تم التوصل الى نتائج ذات أهمية بالغة فى نظرية الاعداد وفروعها الجبرية . ونظرا لما للحضارة العربية الاسلامية من دور أساسى فى نمو الجبر والهندسة كما هو معروف ، انتقلت الرياضيات العربية الى أوربا عن طريق الاندلس . وتتلمذ الاوربيون فى الجامعات العربية فى الاندلس وشمال افريقيا وحملوا معهم آخر ما توصل اليه الباحثون فى الجبر والهندسة ... وبذلك تمكن « نبير فيرما » و « روبرت الجسترى » من دراسة الافكار الجبرية والهندسية التى كانت معروفة يومذاك وادخلوا عليها تطويرات كانت بداية لنهضة جبرية هامة : قام بها علماء بارزون فى الجبر من أمثال : « كاردان » و « ديكارت » و « نيوتن » ثم « إيبيل » و « كالو » وفى حقل الهندسة تمكن «ساكيرى و «لامبرت» و «والس» من توسيع النتائج التى ترعرت فى الحضارة العربية الاسلامية ليمهدوا الطريق لـ « بوليا » و « لوباجيفسكى » و « كاوس » و « ريمان » لاكتشاف أو اختراع الهندسة اللا إقليدية بفرعيها « الاهليجى » و « الهذلولى » ولتبنى بعد ذلك النظرية النسبية . وكانت تلك انطلاقة مذهلة فى الجبر والهندسة اثرت على الرياضيات برمتها .

ومن الجدير بالملاحظة ان ما حدث فى الهندسة مما أدى الى اكتشاف الهندسات اللا إقليدية ، حدث فى الجبر فى نطاق نظرية المجموعات . فالافكار التى اخذت تظهر فى نظرية المجموعات فى بداية هذا القرن اتت بمصادرة

الاختيار أن تلعب فى الجبر دورا مماثلا للدور الذى اخذته مصادرة التوازى فى الهندسة . وأدى الدوران معا دورا مشتركا فى تطوير الرياضيات وبالاخص فى أسس الرياضيات والمنطق الرياضى والتحليل وامتد أثر ذلك الى الفلسفة والفيزياء : وظهرت نظريات جديدة فى العالم ؛ ودخلت الرياضيات منذ منتصف القرن الماضى جميع ميادين المعرفة التجريبية والتطبيقية والفكرية . وهكذا نرى الرياضيات تدخل عصرا ذهبيا رائعا . وتمكن « الرياضياتيون » ان ينجزوا من النتائج والبراهين ما يمكن معادلته كما ونوعا بما تم انجازه خلال المدة السابقة باكملها . وبذلك تشعبت الرياضيات الى فروع عديدة شان الفروع والميادين العلمية والطبيعية التى تخضع للظواهر الفسيلوجية .

ورغم هذا التقسيم فـ « الرياضياتيون » سعيدون بما حققوه من انجازات عظيمة أثرت جوهريا فى مسار الحضارة البشرية . وبذلك أصبح للمؤتمرات العلمية دور فعال فى النهوض بابحاث طريفة فى هذا الميدان كمكتشفات العقل « الالكتروني » والدعوة الى « الحسابيات العصرية » و « الهندسة المعمارية » و « هندسة المواصلات » « البرية والاسلكية » و « التالكس » وغير ذلك من المكتشفات التى لا تحصى فى فن العلوم الصحيحة وتشعبها واستخدامها مع : « الكهرباء » فى حاسبات البنوك او التجارة الداخلية والخارجية .

فعلا ان ميدان العلوم الصحيحة بدأ يغزو حياتنا فى جميع الميادين وان القرن الواحد والعشرين هو قرن هذه العلوم وفرضها على الحياة البشرية لانها توافق المدركات الحسية والعقلية والفكرية وقد كانت الصيحة التى نادى بها الشيخ « محموّد قابادو » فى أوائل هذا القرن خير دليل على أهمية هذه العلوم ومكانتها عند الدول لانها أساس التكنلوجيا والتقنيات الحديثة الخاضعة للمحك العقلى والفكرى .

د. محسن العيادي

حديث النفس

شعر: حمادي الباجي

مثلما قد دخلت جسمك غصبا ... هكذا تخرجين منه اغتصابا
ترغبين الخلود في عالم الدنيا ... وتنسين عهدك المستطابا
يوم أن كنت حرة في السماوا ... ت تجوبين عبرهن الرحابا
يوم أن كنت جوهرا أزليا ... من سنى الله مشرقا خلابا
جئت من جنة النعيم إلى الأر ... ض وما عدت تملكين الإيابا
ومن الطين قد تخذت لباسا ... سامك الخسف والأسى والعذابا
أألفت الجماجم الصم في القفـ ... ـر وآثرت في حماها الخرابا ؟
حدثيني يا نفس عن كنهك المجـ ... ـهول إن كنت تدركين الصوابا
أأنت في هيكل التراب تذوبيـ ... ـن وما تلمحين إلا سرابا
مالك الآن قد صمت كعين الـ ... ـليل ذعرا ..؟ ألا فردي الجوابا

★ ★ ★

ما الذي تبتغين أيتها النفـ ... ـس من الأرض غير لذع السعير
شردتك الأقدار عن سدرة الخلـ ... ـد وأقصتك عن مغاني النور
وتحملت في الثرى جسدا يرْ ... صده الموت للحساب العسير
جامد الحس لا يعي لغة الرو ... ح كتمثال هيكل مهجور
إن لديك استطاعة فاصخبي يا ... نفس في موكب الزمان وثوري
عبث هذه الحياة وزيف ... وسراب يلوح عبر الأثير
وشعاع من الأماني خدوع ... يتهادى بكل حلم نضير
مستفزا كالجاذبية يدني ... نحوه النفس بابتسام مثير
كلما هزها الهيام وحنت ... ذادها عن خياله المسحور

وَرَمَاهَا بِوَابِلٍ مِنْ جَحِيمٍ   فَتَلاَشَتْ عَلَى التُّرَابِ الحَقِيرِ

★ ★ ★

أَكْتِ ما جِئْتِ عن طَوَاعِيَةٍ مِنْ   كِ ... فماذا جَنَيْتِ عبرَ السماء ؟
فَاخْتَفَى سِرُّكِ الجَلِيلُ وَأَلْقَتْ   بِكِ نَحوَ الأَشْلاَءِ كفُّ القَضَاءِ
فإذَا أَنتِ رَعْشَةٌ مِنْ ضِيَاءٍ   خَافِتٍ فِي قَرَارَةِ الظَّلْمَاءِ
يَتَهَادَى بِهَيْكَلٍ آدَمِيٍّ   مُتَدَاعٍ عَلَى صُخُورِ الفَنَاءِ
رَجَفَتْ من صَدَاكِ أَوْدِيَةُ الجِنْ   نِ وَرِيعَتْ كَوَاكِبُ العَلْيَاءِ
لَمْ تَرَيْ في الوُجُودِ غيرَ سَوَادٍ   رَاقِصٍ لِلطَّبِيعَةِ الخَرْسَاءِ
كُلَّمَا رُمْتِ أَنْ تَلُوذِي بِشَمس   لَثَمَتْ خَدَّهَا عَرُوسُ المَاءِ
صَدَّهَا عَنْكِ عَاصِفٌ مُكْفَهِرٌّ   لاَ يُبَالِي بِغَادَةٍ هَيْفَاءِ
فاستثيري الدُّجَى متى رَفْرَفَ الصَّمْ   تُ وَطَافَتْ عَرَائِسُ الإِيحَاءِ
وَاسْتَتِيبِي الإِلاَهَ من كلِّ إِثْمٍ   وَاسْجُدِي لِلْخَطِيئَةِ النَّكْرَاءِ

★ ★ ★

أنتِ يا نَفْسُ زَوْرَقٌ يَتَهَاوَى   في خِضَمٍّ مُعَرْبَدِ الأَمْوَاجِ
قَدْ طَوَاهُ الظَّلاَمُ إِلاَّ بَرِيقاً   غَمَرَ الكَوْنَ من بَقَايَا سِرَاجِ
وَمَضَى يَعْبُرُ اللَّيَالِيَ طَيْفاً   سَادِرَ الشَّوْقِ ثَائِرَ الإِهْتِيَاجِ
أَنْتِ يَا نَفْسُ طَائِرٌ يَتَغَنَّى   فِي كُهُوفٍ رَهِيبَةٍ وَفِجَاجِ
هَائِماً لا يَرَى الوُجُودَ سِوَى حُلْ   مٍ بَعِيدٍ وَوَحْشَةٍ وَانْزِعَاجِ
فِي قُيُودٍ من هَيْكَلٍ جَسَدِيٍّ   يَسْكُبُ اللَّحنَ للرَّدَى في اختِلاجِ
إِيهَ يا نَفْسُ ما مَصِيرُكِ فِي الكَوْ   نِ ..؟ أَتَدْرِينَ ما وَرَاءَ الدَّيَاجِي ؟
وَغَداً جِسْمُكِ التُّرَابِيُّ يَنْهَا   رُ حُطَاما على الثَّرَى كَالزُّجَاجِ ..
اطمَئِنِّي فَعَبْرَ لَيْلِكِ هَذَا   سَتَعُودِينَ لِلسَّمَا بِابْتِهَاجِ
وَإِلَى اللهِ تَعْرُجِينَ قَرِيباً   فَاسْتَعِدِّي لِسَاعَةِ المِعْرَاجِ

حمادي الباجي

تراجيديا الموت في روايات غبريال غرسيا مركيز

بقلم : حسونة المصباحي

— 2 — (*)

وفى سنة 1972 نشر غارسيا ماركيز مجموعة قصص قصيرة بعنوان : « قصص حزينة لا تصدق عن البريئة أريناديرا وجدتها القاسية » ، وملخص القصة التى تستمد منها المجموعة عنوانها ان اريناديرا تحرق دون عمد منزل جدتها فتطردها الجدة انتقاما منها وتصبح الفتاة مومسا تتجول فى القرى وفى الاراضى الجرداء لتجمع مالا تعوض به عن الخسارة من جراء الحريق كما شاءت الجدة . وكل القصص الاخرى .. لها ابعاد اسطورية وفيها خيال شاسع .. تبرهن على أن المؤلف يريد أن يرى ما هو غريب وعجيب ويريد أن يعطى الواقع صورة اللاواقع ، وان يعمق صلته بعوالم السحر .. والغرابة .

وفى أواسط السبعينات أصدر رواية أخرى عنوانها : «خريف البطريرك» وهى وصف لحياة دكتاتور سافل .. وخبيث .. وأنانى .. وحقود . عمره يتجاوز القرنين . وهى دراسة لواقع أمريكا اللاتينية التى عرفت قادة من هذا النوع .. وفى هذا العمل يربط غابريال غارسيا ماركيز « التاريخ بالطبيعة والانسان بالجيولوجيا والشعر بالفلسفة فى غاية ملحمية ذات شمولية رمزية وحدث لغوى مثير يقول غابريال غارسيا ماركيز فى احد المقاطع : كان على ساعة البرج الا تدق الثانية عشرة فى الساعة الثانية عشرة لكى تبدو الحياة أكثر طولا ويسترق المرء السمع دون ان يتريث لحظة ودون استراحة عدا ساعة هدوء الظهيرة ومحصورة فى أقبية ضيقة ضئيلة ومائة سنة من العزلة حدث نادر جدا • انها عمل عصرى ذو منزلة أدبية عالية يستطيع فهمه كل واحد وهو متعة لكل واحد » .

(*) انظر « الفكر » ع : 6 — س : 30 — مارس 1985 .

اننا نستطيع مقارنتها بتلك الاعمال الكبيرة التى تـؤسس المستقبـل .. وتكون المراحـل الاسـاسية فى تاريـخ الآداب .. تمامـا مثـل دونكيشوت سرفنتس والجريمة والعقاب لدستويفسكى . والمحاكمة لكافكـا . والصخب والعنف لفولكنر . والبحث عن الزمن الضائع لبروست . ويوليسيس لجيمس جويس . وهذه الرواية تتحدث عن قصة تأسيس مدينة ماكانـدو من قبـل جوزيه اركاديو بونديا وزوجته اورسلا ايغوران كما أنها تروى قصة أسرة بونديا وستةاجيال من الحرب الاهلية والاوبئة والصعود والرخاء ثم السقوط فى النهاية والدمار الذى يشمل قرية ماكاندو كلها .. وهو دمار شبيه بذلك الذى اتى ذكره فى الكتب السماوية والاسفار القديمة .. والشخصية الروحية التى تمد ظلها على كامل الرواية شخصية تظهر وتختفى . ولكنها تؤثر فى كل الاحداث .. وهى الماضى والحاضر .. والمستقبل . وهى السر ، وهى الحياة والموت .. وهى الرخاء والبؤس .. كما انها الصود والسقوط .

ان الشيخ الغجرى ميلكيادس.ساحر يرى العزلة فى الموت أمرا لا يطـاق فيعود الى الحياة ليعلم أفراد الاسرة القادرين على تفهم حقيقته. وهو يحمل معه أوراق الرق الغامضة التى جمع فى داخلها كل القصص والطرائف التى تجمعت لمدة قرن من الزمن . والرواية بهذا المعنى تلوح ملحمة من أعظم ملامـح هـذا العصر .. اذ أنهـا تجمـع بين كل المتناقضات .. وتتدفق هادرة مثل نهـر كبير .. يحمل فى أعماقه كل شىء .. فى البداية حينما يحل بهـا جوزيـه اركاديو بونديا تكون ماكندو قرية شبيهة بالالدوراد الاسطورية فلا أحقاد ولا حروب ولا مجاعات ولا أوبئة . ولكنها حين تنفتح على العالم الخارجى وتتوغل فى الحضارة شيئا فشيئا وتشارك فى الحروب الاهلية تصاب بالداء القاتل .. وشيئا فشيئا تتدهور أوضاعها .. وتحل بها الكارثة الكبرى . والاب المؤسس خوزيه اركاديو بونديا . يهرب من قريته الاولى بعد أن قتل أحد الاشخاص .. وذلك انه فى كل ليلة كان يتخيله واقفا أمامه .. والدم يقطـر من جسمـه . وعندما استقر بها راح يمـارس السحـر مع الفجر .. ويقوم باكتشافـات فى مجال الكيمياء والفلك وعندما يحاول « التقاط صورة الله دون ان يلحظـه » يصاب بالجنون وينقطع عن عالم الاحياء وتضطر عائلته الى تقييده الىشجرة فى فناء الدار وعندئـذ يبدأ فـى القاء خطب ومواعظ بلغـة غريبـة لا يفهمهـا أحد . ويظل كذلك حتى الموت .

اما أورليانو بولديا فكـان منذ البـداية ميـالا الى العـزلة .. فى مـرحلة البلـوغ خشـن صـوته واصبـح يميـل الى الصمت والوحـدة التـامة ، .

وتزداد عزلته قساوة وحدة بعد أن ماتت ريميديوس التى أحبها حبا جارفا .. « لقد بذل جهودا يائسة فى التركيز المكثف وتسليط قوة ارادته كي تخضع الفتاة لرغبته فتلبى نداءه ولكن ريميديوس لم تستجب . بحث عنها فى مشغل أختها وخلف ستائر النوافذ فى بيتها وفى مكتب أبيها لكنه لم يجدها الا فى تلك الصورة التى تملأ فراغ وحدته الذاتية المرعبة » . وشيئا فشيئا تزداد شفتاه إنطباقا بفعل العزلة والتأمل واتخاذ قرار لا رجعة فيه . وربما يكون ذلك احد العناصر التى دفعته الى ان يتحول الى متمرد .. وان يحارب الى جانب اللبراليين . ولكن الفشل يتابعه حتى فى هذه المرحلة من حياته : « لقد نظم الكولونيل أوريليانو بوينديا اثنين وثلاثين تمردا مسلحا خسرها جميعا وانجب سبعة عشر ولدا من سبع عشرة امرأة مختلفة وأبيد أبناؤه جميعا واحدا بعد الآخر فى ليلة واحدة وقبل أن يبلغ أكبرهم الخامسة والثلاثين ونجا من اربع عشرة محاولة اعتداء على حياته ومن ثلاثة وسبعين كمينا ومن اعدامه بالرصاص ولم تقتله كمية من الاستركنين وضعت فى قهوته وكانت كافية لقتل حصان ورفض وسام الاستحقاق الذى انعم به عليه رئيس الجمهورية » .. واركاديو الثانى قضى حياته متخصصا فى قتال الديكة واستيراد العاهرات .. وهو حماسى مثل الكولونيل ومثل جده . وفى ذهنه شيئان ثابتان : الذكرى الثابتة لتنفيذ حكم الاعدام الذى أراد أن يحضره وهو طفل والقطار المحمل بالجثث وتصفه أورسولا قائلة : « انه يعيش فى عالم الاشباح اختراعه أصعب من اختراع عالمها . عالم اشبه فى تنائيه وعزلته بعالم جده الاكبر . والشخصيات الاخرى كلها تتقاسم هذه الغرابة .. فهم لينون وحالمون وهم أيضا عنيفون ومجانين ومتمسكون برجولية مضحكة فى بعض الاحيان . وبخلاف ذلك فان النساء فى الرواية يرمزن الى تواصل الاسرة .. والى وجهها الرصين .. أو العقلانى .. و « كلما تفاقم جنون رب الأسرة أحكمتهن قبضاتهن على زمام الامور » . ان أورسولا هى مستودع ذكريات العائلة وهى مصير الاسرة باكملها . وتلعب بيلار تيرنيرا دور قارئة الطالع وشبه العاهرة .. وهى تعوض أورسولا بعد مماتها فى حفظ أسرار الاسرة .

وحين صدرت « مائة سنة من العزلة » سنة 1969 فى بيونس ايرس احدثت ضجة كبيرة وبيعت منها عشرون ألف نسخة فى ظرف شهر واحد . وركز الناس فى جميع انحاء العالم أبصارهم على قرية ماكاندو .. القرية الخيالية فى الرواية . وقرية ماكاندو ليست سوى قرية أراكاتاكا التى قضى فيها غابريال

غارسيا ماركيز طفولته.. ويبدو ان كل ما سمعه فى صباه من حكايات وقصص عن الموتى.. والاحياء .. وعن الحرب الاهلية.. وعن سنوات الرخاء والبؤس فى القرية .. قد وضعه فى تلك الرواية الضخمة وصور من خلاله طموح و فشل الانسان فى المنطقة الامريكية الاستوائية القاسية . يقول اعتدال عثمان الناقد المصرى : « ان كاتب هذه الرواية مثقف عصرى يتمثل التجربة الانسانية ويتضمن عمله العديد من التداعيات الفلسفية المعاصرة . وبقدر ما ينطلق فى تعامله مع واقعه من موقف محدد فانه لا يكف - فى صياغة هذا الموقف - عن الافادة من كل انجازات القصة فى العالم المعاصر . وبقدر ما يجمع بين الخاص والعام فانه يغوص فى الاسطورة والسحر ليجعل منها مستوى تحتيا دالا يساعد فى كشف بقية مستويات الرواية . وروايته من هذه الناحية - درس فى الاصالة التى تجمع انقى ما فى التراث الخاص لتمزجه بانضج ما وصل اليه العصر فى صياغة متميزة جعلت من الرواية واحدة من أهم الروايات فى الادب المعاصر » .

اما الروائى والناقد الكبير فارغاس لولوزا .. الذى عاشر غابريال غارسيا ماركيز طويلا فهو يقول : « ان مائة سنة من العزلة رواية كاملة تقف مباشرة فى ابعادها وراء مؤلفات عظيمة تتنافس معها فى الواقع بنفس المستوى وتجابهها فى غرض غزارة الحياة وتعمد الجوانب والابعاد اللانهائية بنفس القيمة نسبيا . وهذه الشمولية تتضح اول الامر بكثرة تنوع الرواية التى تشابه كما يبدو ما هو متناقض بين المعاصرة والارتباط بالتقاليد وبين الطابع المحلى والعالمى وبين الخيال والواقع . كما يعبر أيضا عن شموليتها حقيقة أنها سهلة المتناول لكل واحد . فكل يستطيع قراءتها . وهى تقدم لكل واحد غزارة تختلف بين واحد وآخر سواء للمثقف أو للقارىء البسيط أو القارىء الجلد الصبور أو القارىء غير الصبور . فمادتها تهم كل واحد . ان روح عصرنا الادبية بصورة عامة متحيزة ومضطهدة المدينة التى هرب فيها الى انصاف ظلال الحليلات » . ويقول فى مقطع آخر واصفا بيع الدكتاتور للبحر : « يا صاحب السعادة .. اما ان يأتى مشاة البحرية أو نأخذ نحن البحر معنا . وليس هناك اختيار آخر يا صاحب السعادة ولم يكن هناك اختيار آخر . وبذلك تأخذون فى نيسان معكم الكاريبى .. وتأخذون معكم مهندسى البحرية التابعين للسفير ايفينج كاجزاء مقطعة مرقمة ومع خفوت ضوء مدننا . كان علينا أن نذهب الى الشارع ونصرخ .. اخرجوا يا معدومى الخبرة .. لكى تمنح الاستيلاء على الاراضى لكن لم يذهب أحد الى الشارع يا سيادة

الجنرال ، ان هذا الدكتاتور .. مريض .. ومقعد .. وهو محموم تماما مثل المناطق التى انجبته .. وهو يبيح لنفسه ارتكاب كل الجرائم .. دون ارتعاش أو خوف .. وهو قاس وعنيف . ويبدو وكانه قادم من عصور اخرى بعيدة .. ومن مناطق أخرى غير مناطق الارض .. يقول غارسيا ماركيز : « لقد قلت لكم لا تهتموا . قال ذلك وجر قدميه فى الممرات المغطاة بالرماد بما فيها من بساط ممزق وستائر عبثت بها اطراف النيران غير انهم يواصلون العمل كما أوضح أحدهم وقد قيل لهم ان كرات اللهب لم تكن الا انذارا بأن الانفجارات ستحدث اخيرا . ان الجنرال يقطع الحديقة بخطاه دون ان يستمع الى أحد . ماذا نعمل أيها الجنرال ؟ لقد قلت لكم لا تهتموا أبدا . لقد ذهب . يا للشيطان ! أتوه كل يوم فى نفس الساعة للاشراف على الحلب. بحيث ان الثوار أتوه كل يوم وفى نفس الساعة رأوا عربة البغل المحملة بستة أطنان حليب من اصطبل الرئيس قادمة من ثكنة الدوق وعلى صدر العربة جلس السائق المألوف برسالته الشفهية : هنا يرسل اليكم جنرالي الحليب رغم انكم تبصقون على اليد التى تقدم لكم الطعام . صرخ ببراءة بحيث أن الجنرال باربوزا أمر بتسلم الحليب بشرط أن يتذوقه سائق العربة أولا للتاكد من سلامته من السم . والآن فتحت الابواب الحديدية وشاهد الثوار الالف والخمسمائة الواقفين على الشرفات الداخلية عربة الحليب تسير حتى وسط الساحة الداخلية المبلطة كما شاهدوا ضابط التنظيم يصعد الى صدر العربة ومعه جرة ومجرفة ليذوق السائق بها الحليب . شاهدوه يسحب سداد البرميل . شاهدوه يسبح فى وهج اللهيب الساطع خلال القرون والقرون من الاعوام فى حرارة بركان البناء المتعطش للموت المتكون من ملاط أصفر لم تزدهر فيه زهرة ومن انقاضه خلال الانفجار الجنونى جراء ديناميت بوزن ستة أطنان كانت معلقة فى الاهواء دون حركة » .

ويقال : إن هذا الحاكم انجب خمسة آلاف طفل غير شرعى ولد كل طفل منهم فى الشهر السابع وبقى على قيد الحياة بعد بديله وبعد محاولات اغتيال عديدة . وحاول دون جدوى الحصول على لقب القديسة لوالدته الميتة وطرد من البلاد رجال الكهنوت واتفق معهم بعد ذلك تلبية لرغبة احدى زوجاته . انه صورة بشعة للحاكم الغارق فى انانيته . وهو الذى يجمع بين الجلاد والضحية .

ان رواية خريف البطريرك محاولة لكتابة تاريخ امريكا اللاتينية تحت الانظمة الديكتاتورية ولكن بطريقة المبالغة .. التى تصل الى حد الاسطورة .. أو ليست الخرافة شكلا من اشكال الواقع ..

وبعد هذه الرواية أصدر غابريال غارسيا ماركيز « حكاية غريق » في البداية كانت هذه الرواية مجرد روبورتاج صحفي قام به المؤلف بعد حصول حادث في بحر الكاريبي .. وقد توصل الى مقابلة أحد البحارين نجا باعجوبة. واستطاع بعد أيام من العذاب .. الوصول الى الشاطىء .. غير ان هذا الروبورتاج الصحفي العادي يتحول عند غابريال غارسيا ماركيز الى عمل روائي جميل .. ذلك أنه توصل الى وصف مشاعر الرجل . وهو يسبح في اتجاه ساحل النجاة .. جائعا .. باردا .. خائفا . كما انه استطاع ان يغوص في نفسية رجل كان على حافة الموت .. وكان في كل لحظة يتعرض لخطر يهدد حياته ..

وفي سنة 1982 أصدر غابريال غارسيا ماركيز رواية أحدثت هي الاخرى ضجة كبيرة وعنوانها : «وقائع موت غير معلن عنه» وهو يقول عنها: إنها أروع رواياته .. ذلك ان الموضوع الذي تطرق اليه شبيه بموضوع بوليسي.. ولكنه استطاع ان يسيطر عليه .. وان يتحكم فيه ويحوله الى شيء مشبه بتراجيديا اغريقية . وتعود احداث هذه الرواية الى ثلاثين سنة . والبداية كانت حادثا بسيطا وواقعيا : جريمة قتل في احدى القرى الكولومبية ، في ذلك الوقت لم يشعر غابريال غارسيا ماكيز انه امام موضوع يستحق الاهتمام . ولكن شيئا فشيئا راح يلح عليه .. وراح ينمو في داخله كما النبات الشوكي حتى أصبح غير محتمل . وعندئذ شرع في كتابته وذلك بعد وفاة كل الذين عايشوا هذا الحادث .

سانتياغو نصار هو بطل الرواية . شاب عربي جميل يعيش في احدى القرى الكولومبية .. ويوما ما .. يتعرض لحادث قتل .. ومن خلاله يخوض الكاتب في أعماق عالم قديم .. متداع .. حالم بالخوف والحقد .. والجريمة . وهو هنا يبدو بعيدا كل البعد عن التكتيك الروائي الغربي .. وقريبا من عالم الخرافات وألف ليلة وليلة .

وهكذا نرى ان الموت هو العنصر الاساسي في كل أعمال هذا الكاتب الكبير . ولكن الموت لا يعني بالنسبة له الفناء والدمار الاخير بل هو الصراع الابدي بين الانسان والطبيعة والمقاومة المستمرة للانسانية من اجل البقاء .

حسونه المصباحي

بلدي والشعر

شعر: ابراهيم عيسى
(القاهرة)

الليلُ يحتضنُ الغروبَ وينثني بخُطى بطيئهْ
والنجمُ مصباحٌ تَدلّى كابتسامات مضيئه
وتلفّتَ السَّحَرُ المُدلّ بنسْمَةٍ حيْرَى جريئه
همَسَتْ الى الفجرِ الطروبِ كأنّ همستَها مشيئه
وأتى الصباحُ – الطفلُ في عينيه ضحكاتٌ بريئه
سحرٌ على آفاقنا رسَمتْه كفُّ الله كَوْنَا
لو عانقَتْه شغافُ قلبكَ لاستحالَ الكونُ فنّا

* * *

والطيرُ في آفاقنا قيثارةٌ تَلِدُ النّغَمْ
تبدو لدَى تحليقِها عِقْداً تناثرَ وانتظَمْ
لَوْلاَ جناحاها لَمَا لَمَسَتْ أمانيها القِمَمْ
بهما علَتْ رَكْبَ الغمام .. وغرّدَتْ فوق الأكَمْ
ورأتْ حنينَ الشمسِ والدنيا تُعانقها الظلَمْ
والشعرُ مثلُ الطير .. تحليقاً وتغريداً وفنّا
فأقِمْ جناحيْه .. ولا تجْحَدْهُ قافيةً ووزْنا

* * *

والشعرُ وهو رُؤى السماءِ وقُبلةُ الغيبِ النَّديَّهْ
وَحْيِ المحبَّةِ والسلامِ يجوب دنيانا الشقيَّه
نورٌ يباركنا إذا ما حَشْرَجَتْ سُرُجٌ وَضِيَّه
نَبْضُ الألوهةِ في الفنانِ .. رَحْمَتُه عتيَّه
فاذا تَرَنَّم غَرَّدَتْ في الغيبِ أطيافٌ حَفِيَّه
وتشاءَبَتْ كلُّ البراعم إنْ شَدَا للكون لَحْنَنَا
واذا تَمَرَّدَ ثائرًا لم يُبْقِ سجَّانًا وسِجْنَنَا

* * *

فَتَرَنَّموا .. فالشعر هَمْسُ النور في ليل القوافلْ
ولكم رأى فجْرًا جنينًا والدجى في الأفق مائلْ !
فاستنْصِروا وَجْهَ الصباحِ وحطِّموا رقَّ السلاسلْ
ففؤوسُنا الخضراءُ تزرع في روابينا السنابلْ
وأكفُّنا السمراءُ ترفع فوقَ وادينا المعاقلْ
وسَلُوا انتصارات الزمان فكم رَوَتْ للناس عنَّا !
وسَلُوا الحضارةَ إنَّنا كنَّا لها قلبًا وعَيْنَا

* * *

يا ابنَ العروبةِ ... لا تَقُلْ : قَدَرٌ يَخُطُّ مخاوفه
مأساةُ قُدْسِي مالها من دون ربِّي كاشفه
قد مزّقُوا في ساحِهِ إنجيلَه ومصَاحِفَه
فامْدُدْ يديْكَ اليَّ نقتلع الليالي الزاحفه
فبصدرِنا غَضَبُ الرياحِ وكبرياءُ العاصفه
فالغاصبون القاتلون الأنبياء ومَنْ بَكَيْنَا
سَكَنُوا كهوفَ الليلِ فاستَنْهِضْ من العزماتِ جِنَّا

ابراهيم عيسى
(القاهرة)

الشعر على الشعر في « أغاني الحياة » لأبي القاسم الشابي

بقلم : محمد القاضي

ـ 2 ـ (*)

II ـ مفهوم الشعـر :

إن الغاية من هذا الفصل لا تتمثل فى ابراز مفهوم الشابى للشعر عموما ، بل نهدف منه الى استخلاص صورة الشعر كما عبر عنه الشابى صـراحة فى نصوصه الشعرية عن الشعر فى ديوان « أغانى الحياة » .

لذلك ارتاينا ان نورد هذا المفهوم من خلال حقول دلاليـة ثنائيـة الاطراف محاولين استشفاف الامتدادات المفهومية لكل حقل دلالى ومقتصرين فى هذه المرحلة على الديوان

ا) العاطفـة ـ الفكـر

ما هو مجال الشعر فيما يرى الشابى ؟ وما هى حدود ذلك المجال ؟

اننا نلاحظ ان الشاعر قد حدد رقعة الشعر بالقلب ، ومن هنا لم يعد الشعر موصولا بالعواطف بعلاقة اتحادية فحسب بل أصبح القلب منطويا على الشعر محتويا عليه ، بل ان الشعر أضحى جزءا لا يتجزأ من القلب هو الجزء الناطق :

انت يا شعر فلذة من فؤادى تتغنى .. (9)

وهذا الانحياز الى العواطف هو الـذى يفسر ثنائية العاطفـة ـ الفكـر . والتقابل بينهما كائن فى مستوى الذات ـ الموضوع . فذات الشاعر تتحقق فى

(*) انظر « الفكر » ع : 5 ، س : 30 ، فيفرى 1985 .

(9) الديـوان ص 127 .

المشاعر فى حين تكون الافكار سجلا مختلفا لصيقا بمدلولات العقل والمنطق . وحين يتحدث الشاعر عن حياته فى الغاب يصل ما بين الشعر والافكار بصلة عطف تفيد التركيم والتعدد لا التطابق :

شعرى وافكارى وكل مشاعرى   منشـورة للنـور والانسـام (10)

لذلك يصبح الشعر مرادف الشعور . وفى هذا السياق يستعمل الشابى صفة « شعرية » بمعنى « حساسة » أو « عاطفية » ويجعل بذلك القلب ضديدا للعقل ويبرز التقابل بين الشعر والفكر :

آه كـم يسعـد الجمـال ويشقى   من قلوب شعرية وعقـول (11)

ومن خلال هذا الفصل الجوهرى يصبح الشعراء جنسا فردا مختلفا عن بقية المخلوقات من حيث ان دنياهم قائمة ضمن دائرة المشاعر مكتفية بها :

واسير فى دنيـا المشاعر حالما   غـردا وتلك سعادة الشعراء (12)



ومن خلال هذه السلسلة من الدوائر :

يؤسس الشابى المقولة الجوهرية فىديوانه وهىانالشعر انما هو القناة التى تتحرك ضمنها المشاعر وعن طريقه يتاتى لفئة من الناس ــ هم الشعراء ــ التعبير عن تلك العواطف . وحين يريد الشاعر ان يفصل مضمون العواطف فانه يجمع المتناقضين : الفرح والحزن جاعلا الشعر صـدى لحـالات الشاعـر النفسيـة المختلفة هادفا من خلال ذلك الى اكساب الشعر صبغة الشمول فى الميدان الذى حدده له وهو المشاعر :

انت يا شعر ان فرحت اغاريـدى   وان غنت الكـآبة عـودى (13)

---

(10) م . ن . ص 269 .
(11) م. ن. ص 232 .
(12) م. ن. ص 256 .
(13) م. ن. ص 128 .

بل يمكن ـ بهذه الصورة ـ للشعر ان يكون صنو المشاعر. وبذلك يستطيع الشاعر ان يجد فيه تحقيقا لذاته لانه ينطوي على العواطف نفسها التى تعتمل فى باطن الشاعر :

فيك ما فى مشاعرى من وجـوم   لا يغنى ومن سـرور عهيـد (14)

ومن هذا التوازي المهم ينتقل الشاعر الى ضرب من التطابق بين الشعـر والعواطف . فكلاهما يلتقى فى قلب الشاعر . ولكن العواطف ـ مفرحة كانت او مشجية ـ لا تتحقق الا بالشعر وفى الشعر .

ههنـا تمشى الامـانى والهـوى   والاسى فى موكب فخم النشيد (15)

فالشعر ليس تعبيرا يفرضه الشاعر من الخارج على مشاعـره وليس رداء العواطف وانما هو شكل الوجود الذى تحتاجه العواطف لتتحقق . غير ان هذا التعميم فى مستوى العواطف يتخذ احيانا مدخـلا للتخصيص اذ ان الشعـر ـ وهو ملفوظ العواطف المختلفة ـ يتمحض للكآبة والاحزان :

يا شعر انت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر انت صدى نحيب القلب والصب الغريب (16) .

هنا تنصهر العواطف والمشاعر فى النواح ويصير الشعر مرادفا للبكاء :

اشـدو برنـات النياحـة والاسى   مشبوبـة بعـواطفى وشعـــورى
[..] انـا طائـر متفـرد مترنـم   لكـن بصوت كآبتى وزفيـرى (17)

وليس من الغريب ان يقع الربط هنا بين الكآبة والتفرد اذ ان ذات الشاعر تتحقق فى تفرده العاطفى وفى تعامله مع الكون بطريقة متميـزة ، وليس هـذا من شـان العقـل .

---

(14) م. ن. ص 127 .
(15) م. ن. ص 263 .
(16) م. ن. ص 55 .
(17) م. ن. ص 109 .

لذلك ينفتح المضيق الذى اقحم فيه الشعر على تعميم جديد يجعل الاحزان مجال الشعر الوحيد :

والاناشيد ؟ انها شهقات تتشظى من كل قلب عميد (18)

ولا يقتصر هذا التعريف الكئيب على الشعر بل يتجاوزه الى الكائنات الاخرى من حيوان ونبات . ومن هنا تتأسس النظرة القاتمة التى جلل الشابى بها الشعر :

فيك يا بلبل ما فى الشعر من وحى القلوب

[..] فيك ما فى الزهرة من شعر الدموع

فيك ما فى الدمعة المنحدرة

من معانى (19)

وهذا التعميم الافقى فى مستوى الكائنات يدعمه تعميم عمودى فى مستوى الزمن بحيث تصبح الكآبة المنبع الوحيد للغناء عبر العصور :

ليس فى النهر طائر يتغنى فى ضفاف الحياة غير كئيب (20)

من هنا لا نفاجأ بهذه الصورة المرعبة التى تصبح فيها الحياة انشودة فيتوحد الشعر والكون ولكن هذا الشعر الذى يتدفق من مسام الاشياء يحمل لون الحزن فيمسى الشعر صلاة لآلهة الشقاء :

صاح ان الحياة انشودة الحزن فرتل على الحياة نحيبى (21) .

هكذا يتضح لنا من خلال هذه الثنائية الاولى : العاطفة ــ الفكر ان الشابى كرس العلاقة الاصولية بين الشعر والشعور لترسيخ مصطلح متميز فى ممارسة الشعر وفى تمثله هو العاطفة وبالتحديد عاطفة الحزن والكآبة . ويتظافر هذا المصطلح القدر الذاتى للشعر . اذ ان الاحساس السوداوى بالكون ينبع من ذات المبدع ويطمح الى دحض الشعر الوسيلة ــ سواء كان مدحا أو تعليما ــ

---

(18) م. ن. ص 164 .

(19) م. ن. ص 295 .

(20) م. ن. ص 78 .

(21) م. ن. ص 76 .

وليست الانشودة الشهقة سوى تعبير عن امحاء الحواجز بين الحياة والكتابة وبالتالى فهى دعوة ضمنية للقارىء حتى يعتمد الاحساس عند تناوله للنص وذلك ليتم التكامل بين احساس المعاناة الابداعية واحساس التعامل النقدى . ويبرز هذا المصطلح باعتباره نقيضا لما حكم التراث الشعرى العربى منذ قرون من ابتذال للشعر جعل منه اداة للتكسب او التقرب او السخرية .

2) الخيال ـ الواقع :

ان الانزلاق فى ثنايا العاطفة وهو ـ كما راينا ـ تغليب للذات على الموضوع يرسم للشعر مجالا اوسع من العالم المادى فلا يجعل له حدودا غير حدود الخيال ولقد تناول الشابى قضية الخيال الشعرى فى دراسة على حدة (22) وتولى محمد فريد غازى بلورة مفهوم الخيال عند الشابى (23) .

فما هى صلة الشعر بالخيال والحلم والمطلق فى ديوان « اغانى الحياة » ؟

ان الشابى يختنق فى الوجود وهذا يذكرنا بقول ج. ج. روسو : « إننى اختنق فى الكون » (24) :

واود ان احيا بفكرة شاعر فارى الوجود يضيق عن احلامى (25)

وهذا البيت بالغ الدلالة فى كونه يجعل فكرة الشاعر مرادفة للحلم . ومن هنا فانه يتجه الى الشعر لينقذه من الشقاء الذى يبعثه فى نفسه عالم الناس ان الشعر هنا يصبح مهربا ووسيلة للانعتاق من اسر الواقع والخروج الى مجال الوحى السماوى :

يا ربة الشعر غنينى فقد ضجرت نفسى من الناس ابناء الشياطين
[..] يا ربة الشعر انى بائس تعس عدمت ما ارتجى فى العالم الدون
وفى يديك مزامير يخالجها وحى السماء فهاتيها وغنينى (26)

---

(22) ابو القاسم الشابى : الخيال الشعرى عند العرب . مطبعة العرب بتونس د.ت. ص 141 .

(23) Farid Gasi : As-Sabbi et sa conception de l'imagination poétique. ARABICA. Vol. IX 1962 / 2

(24) Encyclopedia Universalis : Romantisms. T. 14. p. 364 - 371.

(25) الديوان ص 173 .

(26) م. ن. ص 102 .

وبهذه الصورة يسبغ الشابي على العملية الابداعية غشاء سديميا يبتر ما بينها وبين الواقع ويصلها بالمطلق . فيصير الشعر عالما فوقيا مقطوعة أواصره مع عالم الدهماء :

من جاش بالوحي المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء (27)

لان الشعر موسيقى قادمة من عالم الاحلام :

يا شعر [..]

[..] يا ناى احلامى الحبيبة (28)

هذا الملفوظ فى اطار محدد يتحول صدى للوجود الكلى يستلهمه الشاعر من الفضاء :

فسرت الى حيث تاوى اغانى الربيع وتلوى امانى الخريف

وحيث الفضا شاعر حالم يناجى السهول بوحى طريف (29) .

وينسج فيه على منوال الملائكة :

يا شعر يا وحى الوجود الحى يا لغة الملائك (30)

ان الشعر والفن يولدان معا فى فضاء الخيال حيث تتحقق نشوة الشاعر الروحية :

مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنان فى نشوة الخيال الجليل (31) .

بهذه الطريقة تنفتح ابواب الخيال امام الشعر وينقلب الشاعر كائنا متميزا يستطيع النفاذ الى جوهر الكائنات والاحاطة بدلالاتها . ومن ثم فهو يملك القدرة على التعبير عنها فى شعره :

اصغى لموسيقى الحياة ووحيها واذيب روح الكون فى انشائى (32)

---

(27) م. ن. ص 258 .
(28) م. ن. ص 63 .
(29) م. ن. ص 98 .
(30) م. ن. ص 38 .
(31) م. ن. ص 231 .
(32) م. ن. ص 256 .

فنحن اذن ازاء قطيعة مادية مع المجتمع يعوضها الشاعر بالتحام روحي مع المطلق تتفاعل فيه الاحلام والمثل وتتحقق السعادة . وهذا الانفصال عن عالم الاحياء يتخذ منطلقه من الشاعر نفسه لانه كائن « غريب » مختلف عن أهل زمانه :

فى فؤادى الغريب تخلق اكوان من السحر ذات حسن فريد

[..] وربيع كأنه حلم الشاعر فى سكرة الشباب السعيد

[..] وحياة شعرية هى عندى صورة من حياة اهل الخلود (33)

ولكن للشعر مفعولا عكسيًا فهو صدى لعالم الروح وفى الآن نفسه فهو يتحول الى خمرة ويرتد الى الآلهة ليسكرها ويبعث الحياة فى الصخر :

واناشيد تسكر الملأ الأعلى وتشجى جوانح الجلمود (34)

ومن هنا يغدو الشعر طريقا للسمو وجسرا للطهارة . وبه يخيل الى الشاعر انه تخلص من انسيته عبر النشوة الروحية :

اراك فتخفق اعصاب قلبى وتهتز مثل اهتزاز الوتر

[..] فتخطو اناشيد قلبى سكرى تغرد تحت ظلال القمر

وتملؤنى نشوة لا تحد كأنى اصبحت فوق البشر (35)

وبذلك يصوغ الشاعر نصيحته الى الاحياء ممن يريدون السلام والسلامة بان يقطعوا كل ما يربطهم بدنيا الناس لان الشعر هنا يصبح بديلا عن المحدود ومعانقة للمطلق الابدى :

وان اردت قضاء العيش فى دعة شعرية لا يغشى صفوها ندم

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش او رسموا (36)

هذا هو المصطلح الآخر الذى تدور حوله نصوص الشابى الشعرية على الشعر : الخيال . فالشاعر يقدم على انه كائن مختلف وبالتالى فان مصادر الهامه

---

(33) م. ن. ص 186 — 187 .

(34) م. ن. ص 164 .

(35) م. ن. ص 189 .

(36) م. ن. ص 219 .

جديدة فريدة . وبذلك ينسحب الشعر من دائرة الواقع الى دائرة الممكن بحيث يقع تجاوز الاغراض المتداولة الى حيث لا تقوم حدود . انه الانعتاق . هذا المصطلح بالغ الاهمية لانه ذو مظهرين يبدوان متناقضين :

- تكريس القطيعة بين ذات المبدع والناس .

- دعوة القراء ضمنيا الى اعتماد مصطلح الشاعر في فهم الشعر .

ومن المؤكد ان الشابي قد وجد نفسه مدفوعا الى ذلك لانه كان يدعو الى تأسيس مفهوم جديد للشعر يغاير المفاهيم السائدة . وقد حاول ان يحقق ذلك بتوسيع دائرة الشعر وجعله متحركا في اطار المطلق حيث تفجر طاقات الخيال البشري وتتعانق المتناقضات عناقا ابديا في قلب الشاعر :

ههنا الفجر الذي لا ينتهي ههنا الليل الذي ليس يبيد (37)

ونلاحظ ان الشابي قد سلك - لترسيخ هذا المصطلح - الطريق نفسه الذي سلكه لتأسيس المصطلح السابق : العاطفة اذ انه عمد في كلتا الحالتين الى تضييق مجال الشعر لاغلاقه دون المألوف والمتعارف ثم ارتقى الى التعميم حتى يحدث الانطباع بان الوجود كله مزرود في نسيج القصيدة .

3) الطبيعة - المدينة :

تتشكل هوية «الشعر على الشعر» في إطار جدلية طرفاها: الانغلاق والانفتاح.

فالشعر ينغلق دون المحدود وينفتح على المطلق الشعوري . وهو يتنكب عن السبل المطروقة ليتفسح في رحاب الخيال . ومن الرفض تنبجس رسالة الشعر الجديدة وتتآلف ملامح الشاعر النبيء .

ان الشعر بهذا المعنى يصبح نمطا للكينونة لا مجرد مقول على منوال الآخرين بل هو حتمية لم يخلق الشاعر الا لها . انه قدر لا مناص منه :

يا شعر انت ملاكي وطارفي وتلادي
انا اليك مراد وانت نعم مرادي (38)

(37) م. ن. ص 263 .
(38) م. ن. ص 27 .

وهو لا يكتسب هذه المكانة بالنسبة الى الشاعر الا لانه يرافق مثلـه الاعلى ويسنده فى حالات تداعيه امـام هجمات الحزن . ومن هنـا يتحـول مساحـة تتحقق فيها ذات الشاعر :

يا نـاى احلامى الحبيبة يا رفيق صبابتى

لـولاك مـت بلوعتـى وبشقوتى وكآبتى

فيك انطوت نفسى وفيك نفخت كل مشاعرى (39)

ويتضخم مجال الشعر ليضم كل ما تحمله حياة الشاعر من دلالات ومعان . انه يصبح فى الآن نفسه مثالا وترياقا ويضحى نسخة من كيان الشاعر ومتكأ يستعين به على مواصلة العيش فى زمن تهدر فيه الاحلام :

انت يا شعر صورة عـن حياتى انت يا شعر صورة مـن وجودى

[..] **انت يا شعر كاس خمر عجيب اتلهى به خلال اللحود**

[..] **انا لولاك لم اطق عنت النهر ولا فرقة الصباح السعيد (40) .**

وتتدعم صورة الشعر الضرورة فى حالات انعدام التواصل بين الشاعر وبين شعبه . على انه من المهم هنا ان نلاحظ ان التواصل المفقود انما هو فى مستوى الفن والشعر . وليس هذا ـ فيما يبدو ـ الا تعبيرا عن طغيان الدواعـى المادية وتلاشى القيم المعنوية التى يقوم الشعر حارسا لها . مـن هنا نجد ان القطيعة بين الباث والمتلقى انما تتجسد فى غياب المصطلح الواحد الذى يكون فى لحظة الابداع ويفك فى لحظة الاتصال :

اين يا شعب روحك الشاعر الفنان ايـن الخيال والالهـام ؟ (41)

وغياب التفاهم هذا هو الذى يعزز احساس الشاعـر بالغربة عـن الناس . فيشهد صميم الحياة على مأساته المزدوجة : المأساة الوجودية ومأساة التفرد :

يا صميم الحياة كم انا فى الدنيا غريب اشقى بغربة نفسى

---

(39) م. ن. ص 63 .

(40) م. ن. ص 128 .

(41) م. ن. ص 250 .

بين قوم لا يفهمون اناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي (42)

هنا تلتئم عناصر الانغلاق وتتولد الضرورة الى ايجاد منفذ يتحقق عبره انفتاح الشعر . ولا يمكن لذلك ان يتم الا بتوفير مخاطب بديل يستطيع ان يسند الشاعر في غربته الروحية . ان هذا الطرف سيكون حتما على درجة من الاتساع يمكن ان تعوض الشاعر عن الناس الذين انقطعت صلته بهم او كادت:

فاذا الكون قطعة من نشيد علوى منغم موزون (43)

ان الكون هنا ينبغي ان يفهم باعتباره ضديد المدينة والبديل عن المادة . ويؤكد ذلك احتضانه للشعر مما يمهد لالتحام الشاعر به خاصة بالنظر الى الطبيعة « العلوية » التي تسم النشيد . وهنا تتغير المعادلة . ان الصرخة المأسوية التي يطلقها الشاعر بسبب غربته الروحية تنطفىء لان العزلة تصبح شرطا لابد من توفره للالتحام بعناصر الطبيعة . بل تنقلب المحنة املا يسعى الشاعر لتحقيقه لبلوغ مرتبة السعادة :

ليت لي ان اعيش في هذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي
اصرف العمر في الجبال وفي الغابات بين الصنوبر المياد
[..] واغني مع البلابل في الغاب واصغى لحديث الآزال والآباد
[..] عيشة للجمال والفن ابغيها بعيدا عن امتي وبلادي
وبعيدا عن المدينة والناس بعيدا عن لغو تلك النوادي (44) .

ان الغاب يصبح نقيض المدينة لانه دنيا الشعر الذي هو بدوره نقيض اللغو وبذلك تتشكل ملامح هذا المصطلح الجديد الذي يدعو الشاعر الى تبنيه وهو مواصلة لذلك البعد الروحاني الذي يهفو اليه . فالغاب ـ وهو في الاصل مادي ـ يجسد قطيعة الشاعر مع الناس لانه بدء لمفهوم جديد للشعر :

هكذا قال ثم سار الى الغاب ليحيا حياة شعر وقدس (45)

---

(42) م. ن. ص 169 .
(43) م. ن. ص 245 .
(44) م. ن. ص 171 ـ 172 .
(45) م. ن. ص 152 .

ان الطبيعة تغنى فى كل مظاهرها بما فى ذلك عناصر الثورة والغضب فيها :

رتــل الرعــد نشيــدا ... رددتــه الكائنـــات (46)

من هنا نجد ان هذا المصطلح يجمع فى طياته المصطلحين السابقين : العاطفة التى تكرس السمة الذاتية والخيال الذى يحطم الحواجز الصدئة التى تقوم فى وجه حرية الابداع . وبذلك يتسع حقل الغاب الدلالى من مجرد مساحة مكانية الى « دنيا » متكاملة فى حيز المطلق :

فى الغاب دنيـا للخيال وللـرؤى ... والشعر والتفكير والاحلام (47)

هذا المفهوم الذاتى للطبيعة هو الذى يخول للشابى استعمال لفظة «الغاب» متبوعة بضمير النسبة الى المتكلم : « غابى » بحيث يكون امتدادا لذاته ، فيه تنكسر القيود وتنمو الحرية . وهى ـ بالنسبة الى الشاعر ـ حرية مزدوجة : فهو يتحرر من دواعى المادة اذ يصبح مجرد فكـر ، ويتحرر مـن دواعى المنطق فيرخى العنان لأخيلته وأحلامه :

قـد سرت فى غـابى كفكر هـائم ... فى نشـوة الاحـلام والالهـام
شعـرى وافكارى وكـل مشاعـرى ... منشـورة للنـور والانسـام (48)

لذلك يصبح الغاب معبدا مقدسا لا ظل فيه للتعاسة.ويكون الشعر فى علاقة تقابلية مع الاحزان اذ هو نفى لها . ... فى علاقـة اتحادية مع الاحـلام بمدلولها الروحانى لانها رمز للانعتاق الصرف :

المعبـد الحـى المقـدس ههنـــا ... يـــا كاهــن الاحـــزان والآلام
فاخلع مسوح الحزن تحـت ظلالــه ... والبس رداء الشعر والاحـلام (49)

ان الطبيعة ـ هذا المصطلح الثالث الذى يتاسس حوله مفهـوم الشعر عند الشابى ـ تتخذ اعمق دلالاتها حين تتحول معبدا ويصبح الشعر صلاة وطهارة من كل الارجاس التى تتلبس الانسان فى لوثة الاجتماع . وبها تكتمل عناصر

---

(46) م. ن. ص 239 .
(47) م. ن. ص 267 .
(48) م. ن. ص 269 .
(49) م. ن. ص 270 .

هذا الثالوث المقدس . اننا نلاحظ ان هذا المصطلح الجديد يضـع الشعر امام خيار واضح السمات : ان يظل سجين الجدران منحصرا فى دائرة اللغو او ان ينسرح فى نسغ الاشجار ويهيم فى دفق النور وهباءات النسيم .

وهذا المصطلح الذى يهب القارىء مفتاحا جديدا يلج بـه عالم الشاعر يقـوم مقام المرجل الذى ينصهر فيه المصطلحان السابقان : العاطفـة والخيال . حيث انه يصل بالذاتية الى أوجها ويطلق الخيال من قمقمه الذى فرضه عليه دعـاة التحجـر . وقـد راينا ان الشابى لم يكتـف فى قصائـده بالاستناد الى هـذه المصطلحات ضمنيا بل عمد الى التصريح بها بشكل واضح . ولا شك ان ذلك انما كان مندرجا فى اطار معركة القديم والحديث . لقد كانت هذه المصطلحات سلاحه الوحيد لتقويض مفهوم للشعر عتيق متهرىء ممارسة تنتمى الى عصور الانحطاط الحضارى ، ولتعزيز مفهوم جديد سنحاول فى المرحلة الثالثة من هذا العمل ان نتحسس مصادره فى الحركات الادبية التى عاصرها الشابى او التى كانت لقيت فى عصره دعاة متحمسين حاولوا ان يرسخوا قدمهـا فى كتاباتهم الشعريـة .

(يتبـع)

محمـد القـاضي

ننشـر فى الأعـداد القـادمة

① الجزء الثالث من دراسة الاستاذ محمـد القـاضى
« **الشعـر عل الشعـر فى أغـانى الحيـاة** »

② الجزء الثالث من دراسة الاستاذ البـاجى القمرتى
« **المقـدس فى شعـر الشـابى** »

حكاية كيان

قصة : الحبيب رحومه

قال لي ــ : كم يضيق بي الوجود عندما يصر ألا يكون ؟

قلت له ــ : وكم يؤلمني ان أرى الانسان صورة لهذا الكيان المتعفن ! فقد أخفق كل من بادر بخلق ... لان المخلوق ورث عن الطبيعة العنود حب الثورة ...

قاطعني : ــ فمات بثورته الموروثة لانه فقد فيها كيانه .

①

قلت له مرة ــ عن أبي ــ وكان كثير الاغماء كالفجر :

ــ ألا ترى أن ليلا يطل أحيا للذات من شمس تنشر ؟

فرنا إلي كالحرباء :

ــ إليك عني ، انك تريد أن تزرع فيّ كيانك وأنا لا أريد الا الكيان النظيف.

فقلت مشوفا ــ : كياني هو الخلق .

فقال : ــ بل هو الموت .

فاعرضت عنه كالمبتسم ، وقلت لذاتي ــ : فليبحث عن كيانه النظيف .

ثم عاد الي بعد تشرد دام قرونا فقال ــ : معك حق ! لقد أردت نظافة الكيان فمازدته الا دنسا .. والوجدان الا رجسا ... اني أريد الخلق .

فندت عني ابتسامة ــ : الصيف ضيعت اللبن .

فقال ، وقد خلته أناب ــ : أجل ما حيلة الصرار الا الموت .

②

واستمعت اليه مرة ــ وقد اجتمع عليه أناس كثيرون : أطفال أو مجانين ــ : أن لي حكمة ! ألا تفهمون الحكم !

قالوا . وقد غام المكان ــ : قل يا صاح ؟ قص علينا الحكاية من البداية ...! انا عاشقون ونهوى الكلام .

فتوجس هامسا ، وقد حان القطاف وتحضنت الالسن : **قصة صرصار !** هل تفهمون لغة الصراصير ؟

فدوى المكان : الصرار ؟! ماذا جرى للصرار ؟! انا نطرب للصراصير تغنى لتمتلىء البطون ...

قال ـ : ولكنه صرصار حزين ، لا يحسن الغناء انه منكوب ! وضاحوا ثورة تكسر الصمت : منكوب ؟! صرار منكوب ؟!

وسمعت نقيقا بعيدا ـ : يا له من مجنون بين مجانين !

وهم بالانصراف ثم توقف وقال لهم ـ : جريح الذات لى حق عليكم يا اخوانى ! وما أعظمنى أطلب الحق فاطلب ولا حرج !

ـ أوضح يا هذا ؟! انا نكاد لا نفهم شيئا ! أى حق ؟! أى طالب وأى مطلوب؟!

ـ ايه ايه ! أن أريكم الشمس تغرب لتبدو عند الفجر ! ولكن ... وانكبتاه !

(صفقوا) وانجلت أصواتهم المتداخلة عن : ـ الشمس ! انك لكثير الالغاز ، كاهن أم فيلسوف أنت ! ماذا ؟! ماذا تريد منا ؟! انا لنعرفها تظهر وتغيب !

ـ أنتم يا اخوانى لا ترون الشمس توأد فى الافق البعيد ! وانما ترون نارا أو جنة أو جحيما ...

والتف حوله أطفال تهزهم أحلام عجائز : والصرصار ! حكاية الصرصار ؟ ماذا جرى للصرصار ؟ انا لنتلهف لسماع قصة الصرصار !

وأطرق ثم قال ـ : لا أراكم الا ساخرين !

ـ نحن ساخرون ؟!

ـ ألا ترون أن العصر هو محكمة الايام ؟! والبزىء منا .

ـ يا سادة هو من وجهت اليه اللعنات .

ـ أى محكمة تعنى ؟! وأى برىء ؟!

وصاح آخر ـ : الصرصار ؟ حكاية الصرصار ؟

وانبعث النقيق كأمر ما يكون نشوة فجاوبته الضفادع من كل جهة :

ـ عقول عصافير ! لا بد أن نقضى على هذا الكيان المتدفق ... فى حياة الضفادع ! نقيق الضفادع !

ـ يا اخواني ! يا أشقياء زماني ! نحن المكبوتين غتا لتعيش النفس ، وتوأد الروح وينتحر الضمير ! نحن العصافير تزقزق ويطربها النقيق فيصمت ويسيل الدم على الضمير ٠٠٠ على البصيرة ٠٠ وتنعب الكلمات ترن في الآذان تدوى في الاركان وما من عين ترى ولا من قلب يجع ! هل نحن نحيا يا سادة ! أم نحن الاحلام تفيض على الافق منتحرة مع الأشعة ؟! لقد مات القلب على المنبر وطاش العقل في محراب ! فمتى يتطهر المحراب ويتحرك القلب على المنبر ٠٠ ونهوى الظلام ؟!

ـ هراء ! وحي شياطين ٠

ـ ألا تريدون نظافة الكيان ؟!

ـ خرسا !

ـ لا .. لا سلم ولا إسلام .. سنصمد وان حبسوا أشعة الشمس في عيوننا ٠٠ نحن نعيش صمت الدهور ٠٠ ولا نريد الامساك ستسمعون الحق يتكلم ٠٠ ولا حكاية ٠٠٠ وسيقرعنا الزمن يروى لنا ما عانت الايام من الليالي السود ٠٠ والصراصير ٠٠٠

صوت ـ : الليل يا أخ البشر هو ستر وجودنا . ولا وجود الا حين تغيب الشمس .

صوت ـ : نحن نعيش في الظلام كما نعيش في الليل ٠

صوت ـ : الليل حياة ! والنهار هو الموت .. لاننا به نعمى عن رؤية الشمس تبعثرنا .

صوت ـ : ما للشمس وما لنا ؟! الحكاية : انا نريد حكاية الصرصار .

وهمست الضفادع وقد انتفخت حتى كادت تنفجر :

ـ مازال فيهم حياة ! العقول فيهم تعتصر لتنير كيان هذا الصرار المتعنت ! ولكن لا بد أن يموت الصراصير ان آجلا أو عاجلا ٠ فهي سر بلائنا نحن الضفادع ٠٠ ولا نريد لنا منازعا في خلواتنا ٠٠٠

وصاح الحاضرون ـ : الشمس !! الشمس تكسف انه الظل مر !! يا لفرحة الكيان !!

ـ انه الظلام !!

ـ يا لفرحة الكيان !!

الحبيب دحومه

وعز الهوى في رضاها يهون

شعر : محمد بن صابر

اريحانة الحسن بين الغصون
تبيحين قتلي بسيف الجفون
ويابى فدائى سحر العيون
وفيك حياتى وفيك المنون
فيا لطفها حولها الياسمين
ولكن الى الصب ليست تلين
اذلت محبا بشوق الحنين
وعز الهوى في رضاها يهون
تليد طريق قوى متين
بفكرى مقيم بقلبى مكين
له في ضلوعى لهيب الاتون
فاعجب باحوال حر سجين
به تاه يسري جناح الظنون
فاغراه ويح الغرير الفتون
والقاه سهدا بليل الشجون
فردى حجاه وكفى المجون
وجودى بوصل يزيل الجنون
وخليه يسبح ببحر اليقين
هنا يرتوى صدره بالمعين
ويسرى بروح النعيم السكون

المقدس في شعر الشابي

بقلم : الباجي القمرتي

- 2 - (*)

يمثل هذا التحول تطورا جوهريا في مواقف ابي القاسم الوجودية رغم ما يمكن ان نجده في الديوان من نوسان ، وتراوح بين هذا الرأى وذاك يعود اساسا الى تبدل الاحوال ذاتية كانت او موضوعية . ويستقطب هذا التحول معنى التمرد وهو ثنائي الابعاد : ميتافيزيقي لفظ من خلاله ابو القاسم مقولات المقدس السائد الماورائية . واجتماعي ، انكر عبره اسس الواقع الاجتماعي بالصورة التى بينا آنفا . وقد استحال التمرد ببعديه رفضا وقطيعة قامت بين الشاعر الفرد والمجموعة ، تجلت بالدرجة الاولى في التحرر من قيود سنن المقدس السائد ـ وقد اصبح في نظر الشابي مدنسا ، ومن حدود المعتقد الذى افرغ العقيدة من جوهرها الرباني ، ومضمونها الالاهي ذاك الذى يحفظ لها اشعاعها الروحي . ولئن كانت العقيدة في نظر ابي القاسم فوق البشر فلاننا لا نملكها بل تملكنا . وان كان ذلك كذلك فكل تقنين لها يخلع عنها سمة الالوهية ، ويخرجها في لبوس البشرية .

ذاك سر من اسرار سموها تصبح معه العبادة روحية صرفا ، وضربا في المسالك الروحية البكر ، وتعريدا عن السبل المطروقة وخروجا عن الامتثالية . هذا التصور جعل الاستاذ توفيق بكار يقول : « والنص (اى محاضرة الشابي التى كان القاها بتوزر بمناسبة المولد النبوى الشريف) علاوة على ظاهرة الاصلاح تلك يجلو لنا ظاهرة اخرى لعلها من خصائص نفسية الشابي ، وهي ذلك الظمأ الدائم الى حياة باطنية عامرة باسمى معاني الروحانية فمن ثم حرصه

(*) انظر « الفكر » ع : 5 ، س : 30 ، السنة 1985 .

على تجاوز المظاهر المادية الى ما فى الاسلام من روحانية قد تروى غلته » (34) على ان هذه الروحانية وان كانت منبع ايمان الشابى فانها لم تتبلور فى الديوان محصورة فى اطار التصورات الروحية الاسلامية ـ السنية على الاقل ـ اذ هى بعض من الروحانية التى يصبو اليها الشاعر خاصة وان العقيدة من خلال اشعاره اوسع من ان تحد فى دين ، ولقد عاش الشابى كما ذهب الى ذلك الاستاذ توفيق بكار : « فى وقت ما من حياته الرومنتيكية كتجربة وجودية وكمذهب ادبى معا » (35) . وهذا ما جعله يسعى الى اعادة بناء الوجود خارج اطار البنى الدينية أى فى الميثولوجيا عموما ، والميثولوجيا اليونانية خصوصا ، تلك التى يجد فيها الانسان السعادة الكبرى التى قد تكون الاديان قضت عليها، وتلك التى لا يشعر فيها الانسان بجبروت الاله ، فتنزل الآلهة الى مصاف الناس ويرتقى الناس الى مصاف الآلهة . ولا غرابة فى اللجوء الى الميثولوجيا فهى اطار ملائم يمكن للانسان ان يبنى ضمنه فضاءه المقدس ذاك الذى يثير فيه الانفعالات القوية المخصوصة والقادرة على اتخاذ ميسم دينى مميز كالنشوة او الصوفية ، ويتطلب منه صرامة ، وتفانيا مطلقا ، وتضحية عظمى ، غير انه يتضمن قيما مخالفة .

فى هذا الحيز اتخذ المقدس مضمونا مغايرا فلم يبق ذلك السكون ولا تلك الامتثالية ، وانما اضحى يرتكز على تاصيل الكيان .

ولسنا فى كل ما نذهب اليه ننحو الى اتهام أبى القاسم بالالحاد ، فذاك مذهب لا نقصده ، لعقمه ، وانما ننزع الى ابراز أعماق التحول ، فى تصور الاسس التى ينبنى عليها المقدس فى شعره .

ادى انفصال تصور ابى القاسم عن مقولات المقدس السائد فى طور تجربته الوجودية الى ظهور ثنائية فى الديوان تقوم على المقابلة يتجلى قطبها الاول فى تواتر كلمات كـ : ظلام ـ ليل ـ شقاء ـ مآس ـ الموت ـ اثم ـ نكر ، وتلتقى كلها فى معنى المدنس، ويشكل قطبها الثانى طغيان كلمات كـ : نور ـ صباح ـ سعادة ـ جلال ـ حياة ـ طهر ، وتاتلف كلها لتدل على مضمون المقدس ، وقد

---

(34) توفيق بكار : « مشاركة فى دراسة ابى القاسم الشابى » . حوليات الجامعة التونسية ع 2 س 1965 ص 192 .

(35) المرجع نفسه ص 179 .

(36) قصيدة « مناجاة عصفور » ص 107 .

انقسم الفضاء تبعا لذلك الى :

① فضاء مدنس متمثل في حياة المجموعة في المدينة قائمة على المقدس السائد :

ماذا اود من المدينة وهي غا رقة بموار الدم المهدور ؟
ماذا اود من المدينة وهي لا ترثي لصوت تفجع الموتور ؟
ماذا اود من المدينة وهي لا تعنو لغير الظالم الشرير ؟
ماذا أود من المدينة وهي مرتا د لكل دعارة وفجور ؟ (36)

② وفضاء مقدس هو الغاب يحيا فيه الشاعر متفردا حياة قدسية :

والكون من طهر الحياة كانما هو معبد والغاب كالمحراب (37)

وكذا كانت حال ابى القاسم فلئن كان ينزع فى شعره الى حياة روحية ممتلئة ، صاغها من الفن والجمال والاحلام ، وبلغت به حد المثالية (38) فان حقيقته البشرية كانت تشده الى واقعه الانساني :

« ان ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الايمان » (39)

وذاك ما جعل حياته جهادا مريرا بين أمل الفناء نهائيا فى رحاب السماء بين أعمدتها ، واثر القوة الغريزية التى تحد من انطلاق الحركة نحو المقدس . فقامت بهذا الوجه فى الديوان جدلية بين المدنس والمقدس ، اخرجت الانسان من سكونه المميت الى الحركة الساعية الى الحياة . ونزلته منزلة جديدة ارتأى فيها علة وجوده ، حتى اضحت لديه منبعا يستمد منه طاقته ، وينفث فيه القوة :

خلقنا لنبلغ شاو الكمال ونصبح أهلا لمجد الخلود (40)

وبلورت معالم الاطر التى سيصاغ فيها المقدس . وهي أطر ثلاثة :

أولها الفضاء ومدلولاته باعتباره اطارا سيحاول فيه أبو القاسم انيؤسس عالما جديدا .

---

(37) قصيدة « فلسفة الثعبان المقدس » ص 273 .
(38) توفيق بكار : « مشاركة فى دراسة ابى القاسم الشابى » حوليات الجامعة التونسية ع 2 س 1965 صص 201 ـ 210 .
(39) قصيدة « الاعتراف » ص 257 .
(40) قصيدة « حديث المقبرة » صص 200 ـ 201 .

وثانيها الزمان ، والمضامين التي سيتخذها في سياق هذا التأسيس الجديد.

وثالثا وضعية الانسان الجديدة ومنزلته في ضوء هذين الاطارين المحددين .

هكذا تجلت هذه الجدلية في الديوان في النوسان بين دنس المدينة ، وحرم الطبيعة ، المتمثل في خروج الشاعر وقد لطخته آثام الحياة من العالم الاول الى فضاء جديد يبحث فيه عن الطهارة ، وهو الغاب . ولم يكن هذا الخروج نهائيا لا اوبة بعده وانما هو غيبة محدودة عن العالم المدنس يرنو من ورائها الشاعر الى ادراك حقيقته الالاهية ومعانقة جوهره الاصيل . فهو اذن حج الى الغاب الحرام ، لا بد له من إحرام . ومفتاح هذا الاحرام القلب ، بصيرة أبي القاسم المبصرة ، التي تمكنه من ان يفتح لنفسه الظمأى طريقها الى الحق ، ومن ان يحتوى كل شيء ، فيجوب عوالم المطلق كالافاقة لا يقر له قرار . هو الحياة ، عامرة ، طاهرة ، والجوهر الالاهي لا يلج الانسان عوالم الالهة الا به ، لانه من سنخها ، فوق الزمان ، هو « الابد الصغير » .

تبلو الحياة فتبليها وتخلعها وتستجد حياة ما لها قدم
وانت انت شباب خالد نضر مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم (41)

ان يقظة الشعور السامي في المحرم تفجر فيه الطاقة على الحلم باعتباره لغة الروح الحقيقية القادرة على فك الرموز الالاهية التي تتضمنها المخلوقات ، فهي اللغة التي توحي ببقايا قوى الروح الالاهية في الانسان ، تلك التي تمكن من ادراك الرموز الغيبية للموجودات في نشيد حسي متناغم اقرب الى فطرة الانسان ووجوده الاول ، يمحى فيه الشعور بالنسبية وتتجلى فيه يقظة الحس وقد اتصلت بالكون المطلق . فتحررت من سجن وعيها المحدود. لذا كان للخيال دور خطير في اخصاب هذه اليقظة الروحية باعتباره قوة تمكن من تصور متآلف ومتسق لعالم جديد يبدو غريبا للمنطق العقلي ، فهو اذن وسيلة بعيدة الآفاق يبصر بها الانسان ما لا يقدر على ابصاره بعقله .

هكذا يلوح لنا الاحرام بمقوماته الثلاثة : القلب والحلم والخيال ، من الضرورات التي يتهيأ بها المحرم للحج ، فينزع عن نفسه كل اثواب الدنس ويقطع صلاته بواقع ما بقي ـ وهو على هذه الحالة ـ الواقع ، لانه نسبي عارض ثم يلج حالا جديدة تتسم بيقظة الروح ، واهتزاز النفس وسعة الخيال ، وهي

(41) قصيدة « الابد الصغير » ص 153 .

كلها تحيي الشوق الى الابدية ، والمطلق ، وتفتح ابواب السماء . ذاك هو ابو القاسم في الحال الشعرية . جلال الاحرام .

سيمكن هذا الاحرام الروحي ابا القاسم من خوض تجربة دينية جديدة من منطلق وجودي طريف تتجلى من خلالها ملامح المقدس الجديد وهياكله وسيكون فضاؤها الغاب . ولسنا نروم في هذا القسم من الدراسة ان نعرج على مدى نجاح الشابي في وصف عالم الغاب او اخفاقه في ذلك (42) ، او ان نفحص مظاهر الطبيعة المادية وانما نريد التاكيد على رمزية حضور الغاب ، ففي هذه الرمزية يلوح المقدس ، فيتحول الغاب بحكم حال الاحرام من واقع موضوعي محايد الى واقع آخر جديد فوق طبيعي يتجلى فيه الالاه في الاشياء فتكون للاشياء اذذاك ابعاد اخرى دون ان تفقد حقيقتها المادية،ويتخذ الغاب وقد اصبح مقدسا بعد الحقيقة الكونية (43) .

من هذا المنطلق أسس الغاب باعتباره فضاء الآلهة الذي لا يلجه الا المطهرون، على اهم توابع المقدس وهي السر والسحر (44) . اما السر ، فيلوح في قصائد كثيرة نذكر على سبيل المثال منها الغاب ، ويستقطبه معنيان : اولا معنى المطلق ، ففضاء الالاه بكر ذو ادغال ومسالك وعرة يروم الشاعر الضرب فيها لاستكشافها ، فلا يقدر على الاحاطة بها . فاذا الغاب فضاء لا نهائي تلفه الظلمة الدامسة ويزخر بالاشعة المبهرة « يرتد معها البصر حسيرا » وذاك سر الفن الآلاهي المعجز .

وجلست تحت السنديانة واجما ارنو الى الافق الكئيب امامي
فاري المباني في الضباب كانها فكر بارض الشك والابهام
او عالم مازال يولد في فضا ء الكون بين غياهب وسدام
واري الفجاج الدامسات خلاله ومشاهد الوديان والآجام (45)

---

(42) توفيق بكار مشاركة في دراسة ابي القاسم الشابي : حوليات الجامعة التونسية ع 2 س 1965 ص 212 .

(43) قصيدة الغاب صص 264 ـ 266 .

(44) Peter L. Berger : La religion dans la conscience moderne - Essai d'analyse culturelle traduction de Joseph Feisthaner Edition du Centurion 1971. p 182

(45) قصيدة الغاب ص 264 .

وثانيا معنى الصمت : وهـو صمت عامر ممتلىء مفكر ، اى انـه الموسيقى لا تحدث ضجيجا ولا صدى وانما تذيبهما لتجلو الصمت الحى ، وهو كنه الحياة فكانما كلام الالاء فى عظمة الصمت .

واصيـغ للصمت المفكـر ، هاتفـا في مسمعى بغرائـب الانغـام (46)

وأما السحر ، فسمة ملازمة للغاب فى الديوان وتتجلى فى اكتساب الغاب قوة جاذبة تجعل منه محور الكون ، ويفسر هذه الجاذبية حنين الشاعر الدائم الى استمرار العلاقة بينه وبين الطبيعة باعتبارها حضورا إلاهيا ، وكانه فى كل ذلك لا يستطيع ان يحيا الا فى هذا السحر ، فانه يهبه الصحو والطهر والحقيقة .

ونسيت دنيا الناس فهى سخافـة سكرى مـن الاوهام والآثـام (47)

تتبين من خلال هذه الرؤية ان هذا الفضاء الجديد متميز نوعيا ، عن سابقه ، فلقد اضحى الغاب الفضاء المركزى للكـون ومحـوره الكـوخ (48) احيانـا او السنديانة احيانا اخرى (49) شانه فى ذلك شان المعابد او المساجد بالنسبة الى المقدس الدينى . وحضور الشاعر فى هذا المحور يجعله ، وهو محرم ، فى حال من الادراك الصوفى يتصور معها انه اكتشف الحقيقة المطلقـة واضحى بدوره محور الكون ، تجرى من حوله الموجودات فى افلاكها .

تمشـى حواليـه الحيـاة كانهـا الحلم الجميـل خفيفـة الاقـدام
وتخـر امـواج الزمـان بهيبـة قدسيـة فى يمهـا المتـرامى (50)

ولهذا التصور قيمة وجودية خطيرة . اذ ينم عن موقف جديد ، لابى القاسم استوطن فيه الانسان المحور ليستطيع تبعا لذلـك توجيه حياتـه ، وبالتـالى ليؤسس وجوده الجديد ، وكانما لا يستطيـع الانسان ان يحيـا العالـم الا اذا اسسه ، وبذلك يستحيل الانسان خالقا لعالمه ، الا ان هذا التاسيس لـم يكن الا خارج النسبية فى المطلق ، لذلك كان مماثلة للانشاء الالاهى للكون ، وبالتالى فان كانت غاية حج الشاعر الى الغاب تأسيس عالمـه الخاص وقـد اتخذ بعـد الحقيقة الكونية ، فانها كانت كذلك عودا بالانسان الى فطرته ، ووجوده الاول،

(46) المرجـع نفسـه ص 263 .
(47) قصيدة « الغاب » ، ص 265 .
(48) قصيدة « النبى المجهول » ، ص 148 .
(49) قصيدة « الغـاب » ، ص 264 .
(50) قصيـدة « قيود الاحـلام » ، ص 169 .

أى فى صورته المثلى ، لذلك اضحى الغاب جنة الانسان الضائعة يسعى الى استردادها ، حتى ينهى تماما ذاك التوتر الذى تثيره فيه النسبية ، وهذه الجنة وطنه الروحى الذى شرد عنه :

شردت عن وطني السماوى الذى ما كان يوما واجما مغموما
شردت عن وطني الجميل . انا الشقى فعشت مشطور الفؤاد يتيما (51)

فامسى يعيش شقاء وتيها تحدد فى ضوئهما معنى الغربة ، اذ هى الغيبة عن الفطرة ، وعزوف عن السمو وعن الارتقاء فى سلسلة الموجودات ، وتعريد عن السعادة الحقيقية .

لهذا كان الغاب فى شعر ابى القاسم وطنه الرُوحى ورمز اللانسانية من قبل ان تخلق ومن قبل ان يدنسها الاثم ، حيث كان الانسان فى صورته الاولى « لب هذا الكون » (52) يعيش « فجره القدسى » (53) ملاكا فتلمحه تارة شعاعا، وتارة نشيدا وتارة اخرى عطرا . هو الحب لم يمسسه رجس ، والحقيقة خالصة من شوائب العرض والحرية لم تقيدها النسبية والفضيلة فى صورتها الالاهية (54) . ولقد كان حج ابى القاسم الى الغاب دوما سعيا لمعانقة هذا الكيان الاول وهذه الفطرة الطاهرة ، فترة طفولة البشرية (55) وشوقا دائما للحركة فى كون مقدس ، وحنينا ابديا الى المنبع . ولا نذهب فى هذا السياق مذهب من عد الحنين الى الغاب فرارا من الواقع الى عالم الوهم ، وانما يبدو لنا فى الحقيقة حركة ينزع من ورائها الشاعر الى استرداد واقعه ايام نشأته الاولى بكل قيمه وكانه بهذا العود يروم اعادة صياغة وجوده بما تبقى له من قوى حية كتلك التى كانت له فى بداية خلقه . وهكذا يتخذ هذا العود الى الزمن السحيق معنى الولادة ويضحى الانسان تبعا لذلك مزامنا للنشأة الاولى ، وقد تبلور هذا المعنى بجلاء فى قصيدة الغاب ، حيث تمثل الشاعر ، وهو فى حال احرام ، نفسه آدم تنفث فيه الروح .

فاذا انا فى نشوة شعرية فياضة بالوحى والالهام
ومشاعرى فى يقظة مسحورة .....

---

(51) قصيدة « صوت تائه » ص 117 .
(52) قصيدة « الجنة الضائعة » ص 211 .
(53) المرجع نفسه ص 212 .
(54) تجلت خاصة فى قصيدة الغاب صص 262 ـ 266 .
(55) قصيدة « الطفولة » ص 88 ـ 89 .

وسنى كيقظة آدم لما سرى	فى جسمه روح الحياة النامى
وشجته موسيقى الوجود وعا	نقت احلامه فى رقة وسلام
ورأى الفراديس الانيقة تنثنى	فى مترف الازهار والاكمام
ورأى الملائك كالاشعة فى الفضا	تنساب سابحة بغير نظام
واحس روح الكون تخفق حوله	فى الظل والاضواء والانسام
والكائنات تحوطه بحنانها	وبحبها الرحب العميق الطامى
حتى تملأ بالحياة كيانه	وسعى وراء مواكب الايام (56)

ويرمز تمثل زمن النشأة بالاضافة الى ما سبق الى قابلية الانسان لتجديد قواه من هذا المنبع ، اذ ستمكنه هذه القابلية من اعادة بناء حياته بيعديها الميتافيزيقى والاجتماعى على اسس مقاربة او مماثلة لنموذج البناء الالاهى ومن تفجير ارادة الحياة فيه ، ومن تجديد ما قد ابلاه الزمن التاريخى .

بهذا الوجه يكون الزمن المقدس زمن حضور الفعل الالاهى متجليا فى الانشاء وهو زمن لا يماثل الماضى التاريخى ، اذ هو الزمن الاصلى الذى لم يسبقه زمن آخر . لذا كان اسطوريا يقدر الشاعر على استرداده فى حال احرامه فيجعله الحاضر دوما . واذذاك يكون متضمنا لمعنى الخلود . فهو زمن طفل ابدا .

فزمان الغاب طفل ، لاعب عذب جميل

وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل (57) .

ان حياة الشاعر ابى القاسم فى الفضاء والزمن المقدسين محدودة اذ ما ان يسترد طبيعته الاولى فى طهرها وقوتها حتى يعود بحكم بشريته الى واقعه المادى ليؤسس حياته من جديد . الا ان الحج الى الغاب بالنسبة الى ابى القاسم ضرورة فبدونه تنتفى صلة الانسان بالمقدس ، ويضحى الوجود مستحيلا وكان المقدس حبل الحياة الممتد يصلها بالسماء ، ووحى مسترسل ، يقتضى نبوة تحدث عنها ابو القاسم فى قصيدة النبى المجهول (58) ، وهى ليست نبوة صادرة عن

(56) قصيدة « الغاب » ص 264 .
(57) قصيدة « من اغانى الرعاة » ص 218 .
(58) صص 145 — 149 .

وحى الاهى بالمعنى الدينى المتعارف وانما هى نبوة الانسان الفرد وقد ارتقى الى درجة فوق بشرية بحكم ايمانه بعبقريته ويقظة حسه ، وقدرته على الخلق ، يدعو المجموعة فى لغة شعرية الى سعادة ارضية ، وقيم اصيلة ، تلك فلسفة ابى القاسم تؤمن بالفرد الارقى كقيمة قادرة على التغيير والبناء شأنه فى ذلك شان اهم اقطاب جيله .

ولقد كان التعبير فى الديوان عن نبوة الانسان الفرد فى اطار قدسى مماثل للاطار الدينى او مقارب له . فلقد لازمت ابا القاسم فى شعره ، اثناء تأمله ، وصدور وحى العبقرية عنه حالات من الوجد نجدها فى اكثر من قصيدة نذكر منها « الاشواق التائهة » (59) ، وصلوات فى هيكل الحب (60) « وتحت الغصون » (61) ، « نشيد الجبار » (62) ، « والغاب » (63) ، يستحيل فيها كيان الشاعر المادى الى كيان أصيل يبلغ به أقصى درجات الانتشاء ، يتخيل معها احيانا وكأنه امتلك من القوة الالاهية ما به يكون صنوا للآلهة أو يكاد كما هو الشان فى « نشيد الجبار » حيث قام الشاعر مقام بروميثيوس وفى قصيدة « صلوات فى هيكل الحب » حيث اصبح حبيب « فينيس » .

هكذا اصبح الشاعر فوق البشر ، يرتوى من المنبع الخالد ، فهو الخلود

وتملؤنى نشـوة لا تحـد كأنى أصبحت فـوق البشر (64)
روح انـا مسحـورة فـى عـالم فوق الزمان الزاخـر الـدوام (65)

فاحيا فى ذاته محببات الحياة متمثلة فى بذور الالوهية الكامنة فيه . وهذا الوجد هو نشوة الشاعر الشعرية يفيض عنها الوحى والالهـام ويتراءى من خلالها الحق والنظام فى تناسق عجيب لانشاز فيه .

---

(59) صص 164 – 166 .
(60) صص 179 – 183 .
(61) صص 241 – 245 .
(62) صص 252 – 254 .
(63) صص 262 – 266 .
(64) قصيدة « اراك » ص 185 .
(65) قصيدة « الغاب » ص 265 .

فـاذا انـا فى نشـــوة شعريـــة   فياضـــة بالوحـى والالهـام (66)
فـاذا الكـون قطعـة مـن نشيـد   علـوى منغـم مـــوزون (67)

ولم يبلغ الشاعر درجـة الوحى الا بواسطة الفـن وقوامـه القلب والحلـم والخيال (68) . تلك هى عقيدة الشاعر لا ترتكز على القيود ، وتنفى الطقوس نفيا لانها ترفض الامتثالية . لهذا اتخذت العبادة شكل التأمل الشعرى ، بكل مداه ، فهو صلاة الشاعر يعانق الحياة القدس فى خشوع السكـون ، حيـاة الانسانية من قبل ان تخلق ، ويستنطق صمت الغاب الشفاف ، منفردا فاذا هو نشيد الحياة المقدس يدعو الانسان ليكون .

ورن نشيد الحياة المقدس فى هيكل حالم قد سحر

واعلن فى الكون : ان الطموح لهيب الحياة وروح الظفر

اذا طمحت للحياة النفوس فلابد ان يستجيب القدر (68)

يشكل هذا النشيد فى الحقيقة كل قصائد الديوان .

فبديهى اذن ان يجمعها أبو القاسم تحت عنوان « اغانى الحياة » ، فهى خلاصة تجربته فى الوجود وقد استجمع فيها مقومات التاسيس بعد ان كان قد تجلاها اثناء حجة الى فضائه المقدس بالابعاد التى كنا قد بيناها والتى كان قد صاغها فى اطار اسطورى اخرج به ، وهو فى حال شعرية ، الزمن من اطاره التاريخى الموضوعى لينزله فى آن خالد ابدا . هو آن الاسطورة المتجدد على الدوام . على هذا الاساس سيصوغ الشاعر تصوره لنظام الواقع المـادى مطابقا لتصـوره الميتافيزيقى وامتدادا له ، وكأن الواقع يستحيل خواء ان فقد هذا الامتـداد وسيكون تبعا لذلك بناء الواقع البشرى ، مستمدا من نظام الكون زمن النشأة الاولى . وتنزل بحكم ذلك القيم الاصيلة فى الواقع البشرى منزلة المقدس لمـا تتسم به من خلود .

(يتبـع)
البـاجي القمـرتي

---

(66) المرجع نفسه ص 263 .
(67) قصيدة « تحت الغصون » ص 241 .
(68) انظر هذه الدراسة ص 13 .

حضور الشذا

شعر: رمضان لطيفي

إلى الشاعر : عبد الله مالك القاسمي

حين أجالسُ عبد اللهْ
تتبخّر منضدةُ المقهى ... تتحولُ باديةً
ترفلُ في أوْجِ ربيعْ
يتّسع الأفقُ
نظري يتجلى ... ينْظُرُ عبد اللهْ
نلغي كل المدن الصُلْبَهْ
نركبُ متْنَ فجاجِ الريحْ
نمرُقُ عبرَ براري الشّيخْ

* * *

حين أصادفُ عبد الله
أدخلُ « مملكةَ للطهرِ »
فيعاودني الطفلُ الرابضُ في أعماقي
تتكدس حولي قطعُ الحلوى
قطع الطين الصّلصالي ،
بين يدي
تتشكلُ صورُ الطيرْ

أنماطٌ لفراشات قُزَحيَّة
تُنْحَتُ ... تَخْرُجُ مِنْ دائرةِ اللّمْس
تسبرُ أغواري المَنْسيَّةْ

* * *

حينَ أجالسُ عبد الله
تتبخّرُ منضدةُ المقهى ...
يتألقُ كأس الماءْ ..
ثمّ يغورْ
تربضُ فوقي ...
فوق جليسي
قطرَ نَدى
يتشكلُ نهرا ... يعكس شمسا
تُصْلَبُ فوْقَ النّبعِ سَماءْ

* * *

فنجانُ القهوة
حينَ أجالسُ عبد الله
يصبح مبخرةً ...
ودخانُ المقهى عبقَ شذًا
أستحضرُ شعرا حينَ أحاورُ عبد الله
تَسقطُ دُرَرُ الفَنّ تباعا
تَبْني مُدُنًا تُوأَدُ فيها البَغْضاءْ

رمضان لطيفي
جانفي 1985

الحيـرة

قصة : عبد القادر سالم
(الجزائر)

صاح « م » :

ـ ساحملها الى بر الامان ، فحذار ان يقربها أحد !

تسمر الجميع فى أماكنهم ورموه بأعين تطير شررا .

« ك » هو الذى قال :

ـ اتركوا الاميرة تختار وزيرها .

يرى انه الاكثر تجربة وثقة ، فلو أراد لخسف بهم الارض ، انه مقتنع بانه الصالح لادارة امارتها المضطربة .

اقتربت منهم تتفرسهم .

« ص » عيناه جاحظتان يريد التهامها ، ذاك هو هدفه ثم يرحل ..

« ن » مجرد من كل شىء حتى شجاعة اللسان ، لكنه أصبح انسانا آخر ، رغم ان اسمه اندثر تحت لقب آخر قمصه الناس أياه لوجه الشبه بينهما ، أصبح سيد الموقف ، مع علمه انه اقتحم المعركة دون ضمان النتائج ... فهناك صراع على مملكة الاميرة ، صراع أبطاله شدوا أحزمتهم وأحاطوا بالاميرة المذعورة .

وتحت ضغط قوة أكبر ، ترك «م» الساحة ، لكنه أقسم بان لا يستسلم ، انه الوزير الحق .

تقدم « ن » اقترب أكثر من الاميرة ، كشفت عن ابتسامة أراعت قلب المتيم المغرور ، ظن أن الجميع ولوه الامارة ، أهدته بسمة ثانية ، التفت للآخرين .

ـ لقد فزت بها ، وسوف احمى الاميرة الحائرة .

تقدم « ص » منه بفيه فاغر .

ـ غرر بك يا هذا ، دع اسلوب الحيلة ، واثبت فى الميدان ، الحرب قائمة ، والصراع طويل فالاميرة تؤخذ بحد السيف .

«ك» واقف ، أسئلة عدة طرحها على نفسه ، فهو الوحيد الذى يشفق عليها ، كل الخدم والجوارى يعرفون ذلك ، وكثيرا ما تساءلوا كيف تبدله بآخرين همهم الاختطاف ، تهامسوا ، فقيل :

ـ لقد جنت ، لم نعهدها كذلك ، خرجت عن نطاق دستورنا .

صاحت جارية .

ـ لنعاقبها اذن .

صاح آخر :

ـ الاخلاق من ميزة مملكتنا ، فلن نسمح لاحد بالخروج عن المبادىء ، ولو الاميرة نفسها .

تقدمت منهم الوصيفة :

ـ إنكم على حق فى كل ما قلتم ، ولكن بصفتى اعرف نفسيتها ، فاعذروها ، صدقونى ، لقد تاهت ، ولم تعد تفرق بين الخط الاسود والابيض .

اغتنم «ن» الفرصة ودخل دون اذن ، الوجوه ترمقه بنظرات حادة ، انه ليس أهلا لها .

وشوشه ، همس ، و ... صاح :

ـ السكوت .

تبادلت العيون النظرات ، الاميرة تضمحل شيئا فشيئا ، أكلتها العيون ، شعرت بالضيق ، أدركت خطأها ، تصرخ .. قبضت على شفتيها ، أرادت أن تصرخ من جديد ، لكن الوصيفة منعتها هذه المرة ومع ذلك صاحت :

ـ لقد قتلت الاخلاق ، ودفنت المبادىء ، فهل انا اميرة ؟ مستحيل ! انا مجنونه ، مخبولة ، فقدت مكانتي تحت تصرف جنوني ، فهل تسامحوني ؟

صاح الجميع ٠

ـ لا ، لا !

ـ اتوسل اليكم ، واعدكم بان اصحح اخطائي ٠

الجميع :

ـ فات الاوان ٠

يدخل «ك» يقف الجميع احتراما ، يصيحون بصوت واحد :

ـ خلص أميرتنا من طاغ متجبر ٠

رفع نحوها عينيه الفاحصتين ، كانت تنظر الى الاسفل ...

عبد القادر سالم
ـ الجزائر ـ

قصيدة الخطأ ... قصيدة الجحيم

شعر: ناصر العياري

1 ـ الخطـا ....

أنا الآن يذبحني جسدي
ويهرب منّي دمي
ويعلن عصيانه القلبُ،
في حضرتي،
يتواطأ ضدّي مع اللحظة
المنتهى،
المبتدى.

لماذا أنا حجر ؟
يضيّعني،
وينكر سربُ خطاي السّبيل إليّ ؟
إذن : خطأ كلّ عمري،
ومحض صدى.

2 ـ الجحيم ...

جحيمٌ ... جحيمٌ همُ الآخرونْ
وهمْ عنودٌ،
يظلّ يعاشرني كالجنونْ
يعشرني حزمًا،
حزما من ظنونْ

* * *

إنّهم يطفئون مصابيح روحي،
يحرقون تفاصيل عمري
وينتشلون ورود دمي،
إنّهم يرقصون على جثّتي،
يرقصونْ
فكيفَ أكونْ ؟

مطالعات مطالعات مطالعات

"الرحلة الباريسية" في عيون "صاحبة الجلالة"

بقلم : مصطفى عطيه

الزيارة التى أداها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول الى باريس فى غضون شهر مارس 1985 كانت مادة صحفية دسمة ... أتت عليها وسائل الاعلام القومية والعربية والدولية بالتحليل والاستنتاج ... كل حسب ميولاتها وطبيعة اتجاهها .. وأسباب هذا الاهتمام الاعلامى برحلة الاستاذ محمد مزالى الباريسية ، عديدة ومتنوعة ... بعضها واضح جلي والآخر غامض خفي ، فالاستاذ محمد مزالى شخصية فكرية انسانية ، تحلق باشاعها النورانى عبر فضاءات عصر تخيم عليه الغيوم ... فهو لدى الرأى العام العالمى ذلك القبس الثابت فى الافق ... يبعث فى النفوس الدفء ، والأمل ، والطمانينة ، والامانى ، وهو أيضا ذلك السياسى الذى أعطى لمدلول العمل القيادى بعدا انسانيا ... فى زمن أصبحت فيه اللعبة السياسية تتهاون بمصير الانسان ومستقبله ... كذلك فان محمد مزالى هو الامتداد الطبيعى للبورقيبيه التى طبعت هذا القرن بطابع الحكمة ، والاستقرار والرصانة وحب الخير ، بالاضافة الى الصبغة الفخرية لهذه الزيارة التى جاءت تلبية لدعوة من جامعة الصربون ،

أريد بها تكريم هذا الحكيم العربي والانساني الكبير ، في زمن أصبح وجود أمثاله كنزول الثلوج على سفوح جبال الاطلس في يوم صيف شديد قيظه أو ظهور الصافير في ليل شتائي غزيرة أمطاره .

من هذه الارضية انطلقت اهتمامات وسائل الاعلام بالرحلة الباريسية وأخذت التحاليل أبعادا شتى انتهت في خاتمة المطاف بالالتقاء وسط مصب واحد تمثله جملة من العناصر الثابتة :

- تواصل البورقيبيه والوفاء للمنهج الحكيم الذي طبع هذا القرن .
- الخصال الفكرية والاخلاقية والسياسية للاستاذ محمد مزالي .
- تكريم الحضارة العربية الاسلامية .
- الاعتراف بدور تونس كحلقة ثابتة في حوار الحضارات .
- انتصار فرنسا الفكر الحر والحضارة الانسانية ، وسقوط فرنسا الاستعمار والهيمنة والعنصرية .
- تنشيط الحوار العربي الفرنسي والعربي الاوربي .

تواصل البورقيبيه حكمة القرن :

في هذا الاطار كتبت جريدة « العمل » تقول : « ... وقد كانت عبارات الوفاء والامتنان التي أعرب عنها الاستاذ محمد مزالي للمجاهد الاكبر أبلغ ترجمان من نبل معدن هذا الرجل الذي هو مثال للوفاء والاقتدار والاشعاع . وانما وفاء منه لهذا النبع البورقيبي الاصيل ، اعتبر الاستاذ محمد مزالي أن هذا الاستحقاق الأكاديمي السامي يتجاوز شخصه الى باني تونس المعاصرة المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبه ... » (1) .

أما محرر جريدة « الصباح » فقد أكد هذا المغزى بقوله : « أحسست وأنا أعيش هذه اللحظات وأتابع مهرجانها المضيء أن الرئيس الحبيب بورقيبه الرجل العظيم الذي علمنا الكفاح ، وغرس في الاجيال التونسية لعصر التحرر والانعتاق ، حب الكرامة وخصال الرجولة والتمسك بالذاتية والأصالة ورفض الذوبان في أمة أخرى ، وجاهد بالفكر السياسي وبالسلاح المادي لترسيخ هذه المبادىء الحيوية حتى انتزع من جسد الأمة الخنجر الاستعماري المغروس فيها

---

(1) « العمل » 17 مارس 1985 .

والذي كان من أبرز وأقوى أغراضه وأخطرها انتزاع الامة من أصالتها وعروبتها واسلامها ... » (2) .

وانطلقت السيدة رجاء العلمي في افتتاحية لها بمجلة « ديالوغ » الاسبوعية من قولة للاستاذ محمد مزالي جاءت ضمن خطابه بجامعة الصربون : « لي حظ التواجد في قرن بورقيبه ... » لتحلل أبعاد هـذا التـواصل الثيـر للمنهج البورقيبي الخالد (3) .

وكتبت جريدة « لاكسيون » مؤكدة : « ... لهذا السبب نستطيع القـول اليوم ، لكل الذين لم يفقهوا بعد أن تونس منذ أن تجلى كيانها وتاريخها ، لا تستطيع أن تكون الا بورقيبيه » (4) .

وعادت جريدة «العمل» لتؤكد مرة أخرى أن : « تكريم مزالي هو وسام تعلقه الصربون على صدر المجاهد الاكبر محرر تونس وباني الصداقة الحضارية بين تونس وفرنسا » (5) .

أما جريدة « لوموند » الفرنسية فقد أوردت ما كان أكده السيد محمد مزالي في توضيحاته باحدى الشبكـات التلفـزية الفـرنسية : « الـرئيس الحبيب بورقيبه ، وأنا شخصيا وكل الجيل الذي صنعه ، ناضلنا جميعا ، ونواصل النضال ضد التعصب ، والتطرف والهيمنة الايديلوجية » (6) .

منـاقب محمـد مزالي وخصـاله :

أجمعت كل الصحف الوطنية والعربية والدولية على انسانية محمد مزالي رجل الفكر والسياسة وعددت مناقبه وخصاله مؤكدة على أنه من طينة ندرت لا يجود بها الدهر الا في حالات متباعدة زمنيا . جـاء في افتتـاحية جريـدة « لوتون » الناطقة بالفرنسية : « لقد كـرم محمد مزالي لانه رجـل الحـوار والفكر والفعل ولانه نجح في اعطاء كل شيء حقه . لقد استنتج رؤية شاملة من حوار الثقافات بين الغرب والعرب دون هيمنة لواحدة على الاخرى ...» (7).

---

(2) « الصباح » 17 مارس 1985 .

(3) « ديالوغ » 25 مارس 1985 .

(4) « لاكسيون » 23 مارس 1985 .

(5) « العمل » 20 مارس 1985 .

(6) « لوموند » 19 مارس 1985 .

(7) « لوتون » 17 مارس 1985 .

وفى تصريح له بجريدة « الشرق الاوسط » قال السيد عباس فائق غزاوي سفير المملكة العربية السعودية بتونس معلقا على تكريم السيد محمد مزالى : « ... ليس عجيبا أن تعطي جامعة الصربون هذه الميدالية لدولة محمد مزالى تقديرا واعترافا بقيمته الفكرية والانسانية والتى برزت ليس فقط فى مجال الفكر والفلسفة وانما أيضا فى مجال الممارسات الاكثر صعوبة وحساسية من خلال دوره البارز الملموس كرجل دولة سار على خطى الرئيس الحبيب بورقيبه واقتبس من مدرسته أحسن اقتباس ... » (8) .

وكتبت مجلة « ديالوغ » : « ... مفكر ، ورجل أدب وثقافة بارز ، مؤسس ومدير مجلة « الفكـر » منذ ثلاثين سنة ، وهى التى تمثل فضاء مميزا للخلق والتعبير لأجيال من الكتاب والشعراء والمثقفين ، بل هو أيضا رجل فعل ورجل سياسة ، جند نفسه لخدمة الآخرين على الساحة القومية ، مساهمة خصوصية ومتواصلة منه فى تجسيم المنحى البورقيبي ، كذلك هو رياضى ، وعضو بارز فى الاوساط الأولمبية القومية والعالمية ... » (9) .

وكتبت جريدة « فرانس سوار » الفرنسية : « هل ما زال هناك فلاسفة ؟ ، بعض قليل ، هل ما زال هناك فلاسفة يعبرون بالفرنسية ؟ نزر أقل ، هـل ما زال هناك فلاسفة يتكلمون الفرنسية ، ويقومون الى جانب ذلك بدور هام فى العالم العربي؟... هناك واحد ولتجده عليك بالذهاب الى تونس ، هذا العصفور النادر يدعى محمد مزالى » (10) .

ويضيف محرر الجريدة : بينوا رايسكي : « عبر السيد محمد مزالى ـ رجل الاعتدال ـ عن استعداده للتناقش مع جميع الحساسيات « أخير عد الاصوات على عد اللكمات » (11) .

أما جريدة « العمل » فقد كتب محررها يقول فى هذا الشأن : « إن فى منح الاستاذ محمد مزالى ميدالية الجامعات المخصصة لكبار رؤساء الدول والحكومات الاجنبية المتميزين بخصال الابداع الفكري والنضال للارتفاع بالانسانية الى منزلة أفضل وعلاقات أمثل لتكريم لعبقرية المجاهد الاكبر التى فى ظلها وفى

(8) « الشرق الاوسط » 16 أفريل 1985
(9) « ديالوغ » 25 مارس 1985 .
(10) « فرانس سوار » 15 مارس 1985 .
(11) نفس المصدر .

رعايتها يقف مزالي في شموخ ليضرب الامثال الرائعة في صفاء الفكر وملازمة الفضيلة في أداء رسالته نحو قائده وشعبه ووطنه » (I2) .

تكـريم الحضـارة العـربية الاسـلامية :

إن تكريم جامعة الصربون للسيد محمد مزالي الفيلسوف والمفكر العربي الاسلامي لهو تكريم للحضارة العربية الاسـلامية .. واعتـراف من الغـرب بعبقريات هذه الحضارة وتواصل عطاءاتها . يقول السيد مجـرن أحمد سفير دولة الكويت بتونس في تصريح له بجريدة « الشرق الاوسط » : « ... لا شك أن هذا الحدث أعطى انطلاقة جديدة للقاء الثقافتين العربية والفرنسية»(I3). وكتب السيد عبد الجليل دمق في مراسلة خاصة من باريس لجريدة «الصباح» : « هذه هي أول مرة في تاريخ جامعات باريس يحظى فيها مفكـر عـربي بهذا التكريم ، فكانت هذه المناسبة الرائعة بمناسبة عرس الثقافة العربية الاسلامية في أعلى مراتب الشرف ومستويات العلوم في فرنسا ... » (I4) .

تونس ، الحلقة الثابتة في الحوار بين الحضارات :

ما زالت تونس تلك الحلقة الثابتة التي تنشط الحوار بين الحضارات منـذ أقدم العصور .. ما زالت تونس ممثلة في شخص المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه والسيد محمد مزالي . ذلك المنبع الذي تلتقي عنـده الثقافات رغـم تباينها وتشابك منطلقاتها . تقول السيدة رجاء العلمي في تعليق لها على الحدث بمجلة « ديالوغ » : « أية صورة جميلة تقدمها هذا اليوم عن تونس ؟ تونس الأصالة ، الشامخة بثقافتها والداعية لحـوار بين الحضـارات » (I5) . ويقول السيد مجرن أحمد الحمد سفير دولة الكويت في تصريحه «للشرق الاوسط» : « ... ولا شك أن هذا الحدث أعطى أيضا انطلاقة جديدة للقاء الثقافتين العربية والفرنسية ... » (I6) .

انتصـار فـرنسا ـ الحضـارة :

بتكريمها للسيد محمد مزالي الشخصية العربية الاسلامية المشعة والامتداد الطبيعي لبورقيبه الذي قاوم فرنسا الاستعمارية،وراهن على فرنسا ـ الحضارة

(I2) « العمل » I6 مارس I985 .
(I3) « الشرق الاوسط » I6 أفريل I985 .
(I4) « الصباح » I7 مارس I985 .
(I5) « ديالوغ » 25 مارس I985 .
(I6) « الشرق الاوسط » I6 أفريل I985 .

والانسانية تكون فرنسا – الفكر الحر قد انتصرت على فرنسا – الهيمنة والاستعمار والعنصرية : « ... اسناد هذه الميدالية الى رجل الدولة التونسي محمد مزالي فيه دلالة على أن الفكر الاستعماري الذي هيمن في السابق في فرنسا بدأ يعترف بالحقيقة . كانوا في فرنسا يعتقدون أن المغرب العربي جزء من فرنسا أما اليوم فقد تراجعوا وبدأوا يحترمونه ، فجاءت هذه البادرة من الطبقة المثقفة في اسناد ميدالية جامعات بايس الى مزالي ، هكذا كان استنتاج السيد مجرن أحمد الحمد الوارد في تصريحه ، بجريدة « الشرق الاوسط » (17) .

أما جريدة « لابراس » فقد كتبت تقول : « تكريم السيد محمد مزالي البارحة في باريس هو أولا أحد تعابير الرهان الرابع لبورقيبه ، الذي عمل على صقل علاقات إخاء وتعاون مع خصم الامس ... » (18) .

تنشيط الحوار العربي الاوربي :

بتكريمها لمفكر عربي اسلامي وسياسي له وزنه على ساحة الوطن الكبير تكون أوربا ممثلة في فرنسا قد بسطت يدها لتنشيط الحوار مع العرب في إطار من الاعتراف الكامل بثراء الحضارة العربية الاسلامية ودور العرب في الاضافة الى الحضارة الكونية ، على هذا العنصر علق السيد عباس فائق غزاوي سفير المملكة العربية السعودية بتونس في تصريح له بـ « الشرق الاوسط » (19) بقوله : « ... إن هذا الحدث يشكل مبادرة ايجابية مشكورة من الجانب الفرنسي تدل على رغبة في التفهم والحوار ويبقى على الجانب العربي التونسي بالذات والعربي عموما أن يستغل هذه المبادرة والجو الذي وفرته وأتاحته لمزيد من التقارب والحوار » . أما السيد سعيد المرهون سفير سلطنة عمان بتونس ، فقد قال : « حقا لقد ارتحنا كثيرا لاسناد هذه الميدالية لأول عربي ، وكان حدثا تونسيا عربيا فرنسيا له وقع خاص وأهمية كبيرة في العلاقات الفرنسية العربية » (20) .

هذه قراءة للحدث من خلال تعاليق بعض الصحف التونسية والعربية والعالمية الصادرة خلال 15 مارس و 16 أفريل 1985 والتي التقت جميعها عند نقطة الايمان بأن محمد مزالي ، خريج المدرسة البورقيبية الرائدة ، هو ذلك الرجل الذي يجسم الربيع في شتاء مخيف يغمر بدياجيه عالما مهددا بالانفجار.

---

(17) نفس المصدر .

(18) « لابراس » 17 مارس 1985 .

(19) « الشرق الاوسط » 16 أفريل 1985 .

(20) نفس المصدر .

قراءات سريعة

◆ « احلام فى الظهيرة »

صدر عن مكتبة غريب بالقاهرة دون تاريخ رواية لثروت أباظة بعنوان « أحلام فى الظهيرة » تصور حياة الفلاحين فى مصر ومشاغلهم ومشاكلهم وبالخصوص تفكيرهم ومواقفهم ازاء الاصلاح الزراعى وما ينشأ أحيانا من مشاكل ومآس بسبب الارض بين أقرب الاقارب والرواية تنتهى بنهاية تفاؤلية تؤكد رغم كل الظروف طينة الفلاح المصرى الطيبة الخيرة .

◆ « تحت برج الدلو »

مجموعة شعرية للشاعر السويدى أوستون شوستراند نقلها عن الفرنسية محمد الغزي والمنصف الوهايبى مسبوقة بحوار مع الشاعر وتعريف به .

وأستون شوستراند ليس شاعرا فحسب وان تجاوزت مجموعاته الشعرية العشرة بل هو أيضا كاتب وأديب ودارس وعضو بالاكاديمية السويدية وأحد أعضاء لجنة نوبل الشهيرة ويشرف الآن على ادارة مجلة فنون السويدية .

والمجموعة متسمة بنزعة انسانية ذات أبعاد ماورائية فى رمزيتها ذات الضبابية الشمالية فى كلمات تحاول كشف الضوء المخبوء فى الاشياء الجامدة فى المياه المتعبة الناحلة والمتجمدة صقيعا أحيانا عن سبيل الفكر الذى يتحدى كل الممالك وكل التواريخ وكل العناصر .

◆ « بدروش »

صدر للطيب لبيب على نفقته مجموعة ارتسامات صحفية (على حد قوله) بعنوان « بدروش » ، وهى خواطر وتأملات اجتماعية خاصة تأتى عن

تصرفات وتساؤلات وهواجس وطموحات منبوذ قذف به ريف الجنوب ، وقد اصطفى له الكاتب من الاسماء « بدروش » وجعله رمزا للمسحوقين العائشين تحت الصفر غير تارك له اية فرصة للافلات من قدره السيء بل كأنـه يعينه على التخاذل ازاءه أو الانغماس فيه .

هي لمسات لا تنقصها الدقة ولا العمق ولا الطرافة لكنها ـ حسب رأينـا الخاص ـ شديدة القتام والتشاؤم كان يجدر بهـا ان تفتح فرجـة ومتنفسا مهما كان نوعهما للتفاؤل .

• « انـــت احلـــى »

ديوان شعر لمحمـد جواد الغبـان صدر ببغداد بتاريخ أوت 1984 من الحجم الصغير كله في الغزل والتشبيب أحيانا في الحب باطواره السارة والحزينـة الظاهرة والخفية القريبة والبعيدة لكـن متسم دائمـا بالوفاء مهمـا كـانـت الظروف والملابسـات ومهما كان سلوك المحبوب الذي هو دائما في نظـره وشعوره من كل شيء « أحلى » .

• « البيلوجيا ومصير الانسان »

صدر العدد 83 من سلسلة « عالم المعرفة » التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنـون والاداب بالكويـت بتاريـخ نوفمبـر 1984 تحت عنـوان : « البيلوجيا ومصير الانسان » من تأليف الدكتور سعيد محمد الحفار .

وعلم البيلوجيا اليوم قد اتسعت آفاقـه اتساعـا مذهـلا بحيث أصبـح يتحكم في حياة الانسـان لا تفسيرها وتكونها فقط بل تغييرهـا وتحويلهـا وتركيبها وتلقيحها والتصرف فيهـا جسدا وفكـرا وذهنا تصرفا قد يفلـت زمامه من أيدينا في يوم من الايام فلن نعود نتحكم فيه وتكون الكارثة العظمى ومأساة الانسان الكبـرى اذ ان الثورة البيلوجية لا تعرف أي توازن ولا أي حد للتغيير والتكييف فنحن اليوم أحوج ما نكون الى خطـة محكمـة تكبـح جماح الاندفـاع الصاروخي في سبيل ارساء توازن معقول لمعدلات التغيير لان الانسـان لن يستطيـع أن يحيـا في مجتمـع منفلت الزمـام يخبط خبط عشواء لا يستطيع التحكم فيـه والسيطرة على دواليبه وتموجاته وصـورة مستقبله التي أصبحت مادة مطواعة في أيدي البيلوجيين .

• « فى الثقافة التونسية »

صدر للأخ الاستاذ المنجى الشملى من منشورات دار الغرب الاسلامى ببيروت 1984 كتاب بعنوان : « فى الثقافة التونسية » فى خمسين ومائتى صفحة من الحجم المتوسط بطباعة نظيفة على ورق ناصع صقيل يغرى القارىء بالمطالعة العذبة الهينة .

والكتاب مجموعة أراء ونظريات فى الثقافة والتربية والتعليم قيمة سباقة فى زمن تحريرها الذى يعود بنا الى عشرين سنة خلت أو اكثر قد نشرت جلها فى مجلات « الفكر » و « التجديد » و « الندوة » أو فى جريدتى « الصباح » و « المسيرة » أو فى « حوليات الجامعة التونسية » .

ويشمل الكتاب أيضا دراسات وإبداء آراء تتعلق بممثلين للثقافة والفكر التونسى أمثال خير الدين باشا وابى القاسم الشابى والطاهر الحداد وصالح القرمادى ومصطفى خريف وغيرهم .

وسيكون لنا ان شاء الله عندما يسمح الوقت وتسنح الظروف عودة الى هذا الكتاب الذى نعتبره جديرا لا بالمطالعة فحسب بل بالسبر والاستقصاء

• « حادثة جوية على الاستطلاعات الباريسية »

صدر عن الشركة التونسية للتوزيع بتاريخ 1984 كتيب بعنوان « حادثة جوية على الاستطلاعات الباريسية » هو عبارة عن رسالة محمد القروى فى نقد رحلة محمد السنوسى الى المعرض سنة 1889 وحقق الرسالة أخونا الاستاذ الشاذلى بو يحيى تحقيقا علميا شاملا ضافيا حسب المنهجية العلمية العصرية وما نعرفه فيه من ترو وتثبت ورصانة وتواضع وموضوعية .

والرسالة المحققة ان لم تكن لها كبير الشأن بسبب موضوعها وخصوصيتها الا انها على قدر غير قليل من الاهمية اذ توضح لنا بعض جوانب محمد القروى من جهة ومحمد السنوسى من جهة أخرى وتضع بين أيدينا لونا من الجدالات والخصامات الادبية فى أواخر القرن الماضى .

◆ « اسطوانة الحياة »

مجموعة قصصية أولى صدرت لمحمد كمون بصفاقس سنة 1984 على نفقته فى صورة محاولة أولى لرسم المجتمع التونسى الصفاقسى بمشاكله ومخلفاته ورواسبه وقساوته ومظاهر التجديد والتطور فيه وتزمته أحيانا ويهرجه المزيف .. و .. و .. بدون ان يغفل فيها الكاتب الانشغالات السياسية والاجتماعية والثقافية .

◆ « سيرة بنى هلال »

مقتطف من « المجلة التاريخية المغربية » باللغة الفرنسية هو عبارة عن مقالة لعبد الرحمان أيوب بمناسبة اطلاعه على مخطوطات محفوظة بمكتبة برلين الغربية فى اشكالية النسبة الدنية للرواة الشعبيين .

ونذكر لمن يهتمون بالسيرة الهلالية أن هذه المقالة مقتطفة من العدد 33 – 34 بتاريخ جوان 1984 من « المجلة التاريخية المغربية » وان لعبد الرحمان أيوب دراسات أخرى عديدة فى الموضوع كما له فيه أطروحة معروفة .

محسن بن حميده

◆ وجه آخر ... لنيتشه :

صدر مع بداية هذه السنة فى عاصمة النور « باريس » كتاب حول حياة وسيرة وابداعات « فيدريك نيتشه » وضعه الباحث « كورث بول جانز » بعد عشرين سنة من البحث والتنقيب والمتابعة .. ومن أهم ما ورد بهذا التأليف تأكيد المؤلف على ان « نيتشه » لم ينحدر من أسرة أرستقراطية بولونية كما ذهب الى اعتقاد الاغلبية المطلقة من الباحثين ، بل هو أصيل أسرة نصفها بورجوازيين والنصف الآخر « قساوسة » .. ويضيف الباحث انه لم يعثر على ما يدل عن وجود مواهب خاصة فى سلالة «نيتشه» .. وبذلك تسقط قولة «نيتشه» الشهيرة : « كل ما هو جيد موروث » فى دهاليز المجانية .. (على حد تعبير المؤلف) !.

• **الامة الاسلامية فى مواجهة العصر :**

فى خمسمائة وعشرين صفحة من الحجم الكبير صدر عن الشركة السعودية للابحاث والتسويق كتاب للسيد الحبيب الشطى الامين العام السابق لمنظمة المؤتمر الاسلامى الامة الاسلامية فى مواجهة تحديات العصر ، وهو مجموعة خطب وكلمات مرتبة حسب تاريخ القاء كل منها ، مرتبطة بأحداث ومناسبات مختلفة وقعت فيما بين سنة 1980 و 1984 ... يقول الدكتور محمد عبده يمانى فى تقديمه لهذا التاليف الفكرى والتوثيقى الهام ، تلقى (هذه الخطب والكلمات) أضواء على الفترة الخطيرة التى يجتازها العالم الاسلامى فى الوقت الحاضر ، وتعكس الجهود التى بذلتها منظمة المؤتمر الاسلامى فى تلك الفترة لمعالجة الازمات والقضايا المصيرية ولتوجيه المسيرة الاسلامية سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا فى السبيل القويم ، حتى تحقق للأمة الاسلامية مستوى من التضامن ... يجعلها قادرة على مواجهة التحديات المحدقة بها من كل جانب .. التاليف بمضامينه لمتكاملة .. ورؤاه الثاقبة .. ومنهجيته الواضحة يأخذ شكل الوثيقة الهامة .. والمرجع الصحيح والسند القوى .

• **مجلة الالتزامات والعقود التونسية :**

صدرت الطبعة الثانية من « مجلة الالتزامات والعقود التونسية » معدلة ومعلقا على فصولها بأحكام القضاء .. جمعها السيد محمد ابن الشيخ واهداها الى المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة « علامة تقدير ورمز وفاء واخلاص » .. وشملت الستمائة صفحة المكونة للتأليف مسحا شاملا ومفهرسا للقوانين وفصولها .. مع تعريب لكلمة الاستاذ « صانتيلانا » مقرر اللجنة التى تألفت لاعداد مشاريع القوانين التونسية .

مصطفى عطيه

الغُربة في شِعْر الشّابي

بقلم : محمد علي عبد العال

تأتي هذه الدراسة بعد قراءة لاستاذنا الدكتور خفاجي والدكتور مختار الوكيل والدكتور عبد العزيز شرف والاستاذ مصطفى عبد الله والاستاذ رشيد الذوادي والناقد الكبير الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي وليس أصدق من الشاعر نفسه في التعبير عن ذاته ، حيث يقول الشابي : « انى طائر غريب بين قوم لا يفهمون كلمة واحدة من لغة نفسه الجميلة ، ولا يفهمون صورة واحدة من صور الحياة الكثيرة التي تتدفق بها موسيقى الوجود في أناشيده ، والآن أيقنت أني بلبل سماوي قذفت به يد الالوهية في جحيم الحياة ، فهو يبكي وينتحب بين أنصاب جامدة لا تدرك أشواق أنات قلبه الغريب ، وتلك مأساة قلبي الدامية » (1) .

وليست هذه الغربة التي يصورها أبو القاسم الشابي خاصية منفردة به ، بل يشاركه فيها كل الشعراء الموهوبين،وأركز على كلمة شعراء موهوبين ، كل هؤلاء يشاركون أبا القاسم هذه الغربة اذن فغربة الشعراء حقيقة لابد منها ، ولا غنى عنها ، وهي غربة صحية ، منتجة ومبدعة ، عندما تتفتح نفس الشاعر على دهشة الوجود ، بما فيه من طبيعة واحياء ، والم ، من الغير، وبالغير ، لا يملك منعة اذا جاء ، واذا رحل . يقول الشابي في قصيدته : الاشواق التائهة : (2)

---

(1) كتاب : كفاح الشابي ص 55 للاستاذ أبي القاسم محمد كرو ، وكتاب : شعراء مجددون ص 112 للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي .

(2) ص 112 من ديوان أغاني الحياة ، طبعة دار الكتب الشرقية تونس 1955 .

يـا صميم الحيـاة ! كم انا فـي الدنيا غريب ! اشقى بغربة نفسي
بيـن قـوم ، لا يفهمـون اناشيـد فـؤادي ، ولا معـاني بـؤسي
فـي وجـود مكبـل بقيـود ، تائـه فـي ظـلام شـك ونحـس
فاحتضني ، وضمني لك ـ كالماضي ـ فهذا الوجـود علـة نفسي

ومن هنا تتفتح غربة الشاعـر في ثلاثة عناصر : غربة الوجـود ، وغربة الاحياء ، وغربة النفس ، وتلك هي غربة كل الشعراء المبدعين وليس المبدعين، فقد أطلق الشاعر لنفسه العنان في التعبير عن ذاته ، ولم يقيدها بما يريده الناس ، وما لا يريدونه .

يقول الشابي في قصيدته : قلت للشعر ص 86

انـت يـا شعـر فلـذة مـن فؤادي تتغنـى وقطعـة مـن وجـودي
فيـك في جـوانحي مـن حنيـن ابـدي الـى صميـم الوجـود
انـت يا شعر قصـة . عـن حياتي انـت يـا شعر صورة مـن وجودي

وكان لا بد لهذا الاغتـراب أن يولد في نفس الشاعـر نوعـا مـن الكآبة المنتجة لهذا الشعر الخالد المؤسي للغير .

يقول الشابي في قصيدته : الكآبة المجهولة ص 22 :

انا كئيب ،
انا غريب ،
كآبتي خالفت نظائرهـا
غريبة في عوالم الحزن
كآبتي فكرة مفردة
مجهولة من مسامع الزمن

ان من وهب قلب مثل قلب الشابـي ، الذي هو دائما مشغـول بالوجـود والعدم لا يستمتع بالأشياء البسيطة في الحياة وكفـى ، خاصة اذا كانـت هذه الحياة ليست طوع ارادته ، وبالتالي لا ينبغي أن يسأل سائـل : لمـاذا

جل شعره فى الأسى والحزن ؟ قد تكون الاجابة كما قال بعض النقاد ومنهم السحرتى بسبب فقدان الأب والحبيبة ، وان كنت اعتبر أن هذه الاجابة جزء من الغربة العامة التى يحس بها ، حيث يقول فى قصيدته : أغنية الاحزان ص 48 :

لا تغنينى اغاريد الصباح
بلبل الافراح
ففؤادى وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكيه
ليس تستهويه الحان السرور
واغانى النور

ثم يقول فى قصيدته : يا رفيقى ص 72 حيث أن أساس المشكلة فى داخله :

قد تفكرت فى الوجود فاعيانى وادبرت آيسا لظلامى
انشد الراحة البعيدة لكن خاب ظنى واخطات احلامى
فمعى فى جوانحى ابد الدهر فؤاد الى العقيقة ظامى

وحتى فى قصيدته : الى الله ص 98 نجده يقول :

انت انشاتنى غريبا بنفسى بين قوم فى نشوتى وانتباهى
فلم اليأس والكآبتى داست قلبى المتعب الغريب الواهى

ان الشابى من الشعراء القلائل فى تاريخ الأدب العربى الذين لم يخونوا الشعر ، ولم يخونوا مشاعرهم وضمائرهم ، فكان من الشعراء الصادقين مع أنفسهم ، القلائل فى التاريخ . يقول الشابى فى قصيدته : شعرى ص 22 :

لا أنظم الشعر ارجو به رضاء الامير
بمدحة او رثاء تهدى لرب السرير
حسبى اذا قلت شعرا ان يرتضيه ضميرى

محمد عل عبد العال
(القاهرة)

● الاستاذ محمد مزالى فى حفل تكريم المبدعين فى الادب والفكر والفن :

فى لقائه بالادباء والمفكرين ورجال الثقافة والاعلام بمناسبة حفل تكريم المبدعين أثار الاستاذ محمد مزالى العديد من ذكريات المسيرة الادبية الخالدة تجسمت خصوصا فى ثلاثين سنة من الجهاد والمعاناة على صفحات مجلة «الفكر».

عبر الاستاذ محمد مزالى عن ابتهاجه بلقاء رجال الفكر والثقافة شاكرا وزارة الشؤون الثقافية على إتاحتها هذه الفرصة الرائعة ، وحرصها على تكريم المبدعين والرفع من شأنهم .

تحدث السيد محمد مزالى عن حرية الاديب فقال بالخصوص : « نحن نوفق بين دعم وتشجيع الخلاقين وبين حريتهم خلافا لما يقع فى عديد البلدان التى لا تحترم أدباءها وتفرض عليهم وصاية وضغوطا حتى يخروا ساجدين لايديلوجياتها » .

الأصالة هى الصفة المثلى للخلاق ، والعزيمة والقدرة على الصمود والتجاوز هما من ملامح المبدع الحقيقى ، هذا ما أكده السيد محمد مزالى مضيفا : « على الادب أن يكون نابعا من الواقع الشعبى وملتصقا به » .

علينا كأدباء أن نتخلص من عقدة « العرجون » ، وأن نتجنب الدخول فى متاهات الخصومات والنزاعات الهامشية .

أدعو دوما الى تشجيع الادباء الشبان ودعمهم وتوجيههم حتى يصبحوا مبدعين كبارا مستقبلا .

● **السيد البشير بن سلامه فى حفل تكريم المبدعين فى الادب والفكر والفن :**

توزيع الجوائز القومية فى ميادين الآداب والفنون تؤكد حرص وزارة الشؤون الثقافية ، على أن تجعل منها سنة تجسد أحد ركائز التوجه الثقافى المتمثل فى تجشيع الخلاقين ومؤازرتهم بصورة دورية سنوية كتقدير لمن برز فى ميدان من هذه الميادين وملأ الساحة الثقافية فى تلك الفترة وكرس جهوده لابراز عمل مجيد مشهود له به .

لقد سعينا أن نكون موضوعيين قدر المستطاع ،... وحاولنا أن نجعل منذ الدورة الاولى ، من عملية الاسناد توجها ديدنه المصداقية والدقة ، لاعطاء مفهوم الجائزة القومية أبعادها الحقيقية فى المؤازرة من ناحية ، والاعتراف بالجهد من ناحية أخرى .

ليست الجائزة غاية فى حد ذاتها ، بقدر ما هى عامل دفع تحفز الفائزين بها وغير الفائزين على مواصلة الطريق بذات النفس والحد . بذلك فقط ، يمكن لنا أن نكون فى مستوى الانجاز الثقافى العظيم ، الذى أقر أهميته ودوره الفعال كل المثقفين فى تونس ونعني به « صندوق التنمية الثقافية » الذى تعد هذه الجوائز احدى ثماره .

يحق لتونس كبلد ساهم فى الثقافة العربية والانسانية منذ القدم أن تعتز بهذه المبادرات ويحق كذلك للمثقفين أن يفخروا بهذه الحوافز التى لن تترك سبيلا فى المستقبل للسلوك مقطوعة « العرجون » أو التغني بخرجة عدم التشجيع .

لعل كل هذا يكون فرصة تتاح لحركة النقد حتى تغربل الآثار الادبية والفنية وتمنع ميدان الثقافة من آفة المتطفلين والبكائيين والمتشائمين والذين استعاضوا عن الادب بسوء الادب .

● **تكريم المبدعين :**

نظمت وزارة الشؤون الثقافية يوم الثلاثاء 16 أفريل 1985 بقصر المؤتمرات بالعاصمة حفلا لتكريم المبدعين فى الادب والفكر والفن ، أشرف عليه السيد محمد مزالى الوزير الاول ومدير مجلة «الفكر» وقد احتوى برنامج هذا التكريم على اسناد الجوائز القومية فى ميادين الآداب والفنون لسنة 1984 للسادة : عبد السلام المسدى (الآداب) ، عبد الجليل التميمى (التاريخ) ، محمد فنطر (الآثار) ، عز الدين العياشى (الموسيقى) ، الناصر خمير (السنما) ، منى نور الدين (المسرح) ، عمار فرحات (الفنون التشكيلية) ، زبير التركى (النحت) ، محمد الصايب (التصوير الشمسى) ، علي الدواس (الحرف

الفنية) وجوائز التشجيع على الانتاج الادبى والفكرى لنفس السنة لـ 18 من الأدباء والباحثين ممن برزوا بتآليفهم خلال سنة 1984 فى ميادين الدراسات فى الآداب واللغة والحضارة الاسلامية ، والعلوم الاجتماعية والفلسفية ، والتاريخية والحضارية المتعلقة بتونس والمغرب العربى ، وتحقيق المخطوطات والشعر والقصة والرواية والمسرح والاعمال المبتكرة بالفرنسية أو المترجمة والعلوم الصحيحة وقصص الاطفال .

كما شمل الحفل الاحتفاء بالذين عينوا أخيرا مستشارين للشؤون الثقافية.

● **أنا عائد من تونس مع الحركة الثقافية فيها :**

نشرت جريدة « الدستور » فى عددها الصادر يوم 22 مارس 1985 فى ركن « جولات حرة » بقلم الدكتور عيسى الناعورى مقالا تحت عنوان : « أنا عائد من تونس .. مع الحركة الثقافية فيها » ننشره للافادة :

زيارتى الاخيرة لتونس ، وقد استغرقت خمسة عشر يوما ، تجولت فيها والقيت المحاضرات فى ست من ولاياتها الاثنتى عشرة ، اطلعتنى على حركة ثقافية جديرة بأن يكون لها حديث فى هذه الجولات الحرة ، ان لم يكن لشىء ، فعلى الاقل للمقارنة بين ما عندهم وما عندنا ، وما يفكرون فيه للمزيد من التوسع فى النشاطات الثقافية وما نفكر فيه نحن ، وما ينفقونه على الثقافة وما ننفقه . وانا آسف ان كانت المقارنة غير عادلة ولا متساوية ، لا فى ما هو واقع ، ولا فى ما هو منتظر .

تعمل مع وزارة الشؤون الثقافية فى تونس لجنة تدعى (اللجنة الثقافية القومية) تقوم عندهم مقام دائرة الثقافة والفنون عندنا . وهذه اللجنة هى اللجنة التى تقود اللجان الثقافية الجهوية ، وتوجه نشاطاتها ، وتهيىء لها ، وتشرف عليها . والنشاطات الثقافية هذه تشمل الادب ، والعلم ، والمسرح ، والموسيقى ، والفنون الشعبية ، والرسم .

والى جانب اللجنة الثقافية القومة تقوم دائرة أخرى تدعى (ادارة الآداب) ، يقوم عملها على رعاية الادب والادباء ، والحفاظ على حقوق الكتاب ، ونشر مجلتين هما : الحياة الثقافية ، والشعر .

وزارة الشؤون الثقافية يقوم على رأسها وزير أديب ، له مؤلفات ومشاركات فى البحث ، وفى الرواية والقصة القصيرة ، هو الاستاذ البشير بن سلامة . وهو الذى وضع الاسس الحاضرة التى تسير بموجبها الوزارة

وكل الجهات التابعة لهـا ، والتي كان من جرائها اتباع الحركـة الثقافيـة ، والادباء ، والفن والفنانين . وكل من لقيتهم في جولتي من الادباء والمؤلفـين يثنون أبلغ الثناء على رعايته للآداب وتشجيعه لها بكل الوسائل .

وهم يقولون ان عهده هو عهد ازدهـار الحركة الثقافية في تونس ، وأنهم يودون لو تقدم عهده ، ليكون الازدهار الثقافي أوسع واخصب مما هو .

ولقد أتيح لي ان القاه اليوم الاخير من زيارتـي ، وان اقضي معه بعض الوقت في مكتبه في الوزارة ، ثم ارافقه الى اختتام (ندوة المعجميين العـرب في تونس) . وقد حدثته بما سمعت من المؤلفين وارباب القلم في الثناء على عهده ، فقال لي : إن الفضل في نجاحه في ازدهار الحركة الثقافية هو الوزيـر الاول – رئيس الوزراء – الاستاذ محمد مزالي ، فهو يدعمه كل الدعم ، ويقدم له كل ما يريده لتوسيع النشاطات الثقافية ورعاية العاملين فـي حقولهـا .

والاستاذ محمد مزالي أديب قبل أن يكون وزيرا ورئيس وزراء ، وكنت قد لقيته أول مرة فـي مؤتمر الادباء العرب الرابع ، الذي عقد فـي الكويـت عام 1958 م . وكان يمثـل ادباء تونس ، ثـم لقيته المرة الثانية فـي مؤتمر الادب العربي المعاصر ، الذي عقد فـي روما عام 1961 م ، وكان يمثل تونس كذلك في ذلك المؤتمر . وقد أنشأ مجلة (الفكر) ، فلم تلبث ، بعد دخولـه الوزارة ، ان اصبحت مجلة ثقافية رسميـة ، برأس تحريرهـا اليوم وزيـر الشؤون الثقافية الاستاذ البشير بن سلامه . فلا غرو اذا كان الاستاذ مزالي يهتم بالحركة الثقافية ، ويقدم لوزير الشؤون الثقافية الدعم والتأييد والبذل الكافـــي .

اما اللجنة الثقافية القومية فان رئيسها هـو الدكتور محمد الطالبـي ، وهو ، الى جـانب رئـاسته للجنـة ، أستاذ في كليـة الآداب في الجامعة التونسية ، ويساعده في ادارة شؤون اللجنة ، واللجان الاخرى الجهويـة ، والاشراف على النشاطات الثقافية فـي جميـع انحاء تونس ، الكاتـب الاول السيد عمارة السخيري . وهو موظف قديم في اللجنة ، وله خبرته الواسعة الطويلة في التعامل مع الحركات الثقافية والعاملين فـي اللجان المختلفـة .

لقد حدثني ادباء ممن لقيتهم في جولتي التونسية عن رضاهم التام في التعامل مع وزارة الشؤون الثقافية ، وقالوا ان الوزارة تبتاع من كـل كتاب ينشر ما بين الف نسخة والفين . وحين تحدثت في ذلك الى الوزير قال : إن الوزارة تطلب من كل أديب يريد نشر كتاب له ، ان يتقدم اليها بكتابه للتثبت

من قيمته ، فاذا كان جديرا بالنشر ، منحته تصريحا بنشره ، وهذا التصريح يلزم الوزارة بشراء ما لا يقل عن ألف نسخة من كتابه ، دون حسم . وهـذا وحده يغطي نفقات الكتاب ، ويشجع الناشرين على نشر الكتاب التونسي .

وقد علمت من السيد الوزير ان مجموع ما تنفقه الوزارة عام 1984 ، على شراء الكتب وحده ، بلـغ مليونا ومائتين وخمسـة وثلاثين الـف دينـار ، وانّ ما ينتظر ان تنفقه فى هذا السبيل خلال عام 1985 م ، سيزيد على هـذا المبلغ . فكم تنفق وزارة الثقافة عندنا كل عام على شراء كتب من الناشرين أو من المؤلفين ؟ وما هو التشجيع الذى يلقاه المؤلف الاردنـي ؟.

والوزارة تعنى كثيرا باقامة المهرجانات والندوات ، واللقاءات الفكرية فى مختلـف الجهات التونسيـة ، وتدعو المثقفيـن العـرب من خـارج تونس للمشاركة فى هذه النشاطات الثقافية ، وتنفق على ذلك بسخاء ، الى جانب ما تنفقه على المسرح ،والفنون الاخرى ، والمعارض الفنية ، ومعارض الكتب وغيرها من المجالات الثقافية والفنية .

ولقد تساءلت وانا اسمـع هذا : ونحن فى الاردن ، اين نحن من هـذه النشاطات الثقافية الواسعة ، والنفقـات السخيـة على ازدهـار الثقـافة ، وعلى نشر الكتاب الاردني ، وتشجيع الكاتب الاردنـــي .

لو حاولنا ان نعقد مقارنة بين ما عندنا وما فـي تونس ، لخجلنا من ان نقول ان عندنا حركة ثقافية ، فالذى لدينا هو (وزارة ثقافة) و (دائرة ثقافـة وفنون) ولكن ليس لدينا المال ، ولا التخطيط ، ولا الهمة لكى تكـون لدينـا حركة ثقافية زاهرة ، الا ما كان مـن النشاطات الفردية : اننافى هذا المجال نسير وراء القافلة .. فالثقافة عندنا هى آخر ما نهتم بتوفير المال والرعاية له ، مع اننا فى مجالات اخرى كثيرة نقود القافلة بجدارة .

الا ان ثمة مشكلة كبيرة لا تزال تونس تحاول التغلب عليهـا ، ولكنها ما تزال تحاول ولم تصل الى نتيجة ، تلك هـي مشكلـة وصـول الكتـاب التونسى الى البلدان العـربية ، ولا سيمـا المشـرقية منها . وقد ذكـر لى الصديق الاستاذ محمد احمد النيفر ، المدير العام للدار العربيـة للكتاب ، انه يحاول محاولات متواصلة ان يجد وكلاء وموزعين فى المشرق ، ولكنه لم يجد منهم تشجيعا ولا اقبالا . وطلب الى ان ابحث لمنشورات الدار عن وكيل يوزعها فى الاردن .

وحين تحدثت مع السيد وزير الشؤون الثقافية فى هـذا الموضوع ،

قال إنه مشكلة مستعصية على الحل . وقال إنه اتفق مع الطيران التونسي على أن يقوم بنقل الكتاب التونسي الى كل مكان عربي تصل اليه الطائرات التونسة على أن يتحمل الطيران 70٪ من نفقات السحن وتدفع الوزارة نسبة 30٪ الباقية . وعلى الرغم من هذه التضحية الكبيرة لايصال الكتاب التونسي الى البلاد العربية في المشرق ما تزال القطيعة الثقافية قائمة لا تجد حلا .

وتساءلت في نفسي : هل نحن في الاردن أحسن حالا ؟ وهل يصل الكتاب الاردني الى خارج الاردن الا عن طريق الهدايا الشخصية القليلة ؟ هل يعرف التونسي والليبي والمغربي والجزائري شيئا عن الادب الاردني ، والاديب الاردني ، والكتاب الاردني ؟ وهل تعرف مصر ولبنان والعراق ؟ .

لو كنا حقا امة واحدة ، لكان من الواجب ان تقوم وحدتنا على أساس الفكر الواحد والثقافة الواحدة ، ولما كانت هذه القطيعة الثقافية بين البلدان العربية ، وهذا الجهل المطبق بالواقع الثقافي بين كل بلد والآخر .

الكتاب اللبناني والكتاب المصري وحدهما يصولان ويجولان في البلدان العربية كلها ، لان ثمة موزعين وناشرين تجري التجارة الصحيحة في عروقهم ، ويعرفون كيف يصلون الى كل مكان . فهل تعجز البلدان العربية الاخرى عن مثل هذا ؟ وهل انعدمت في ابنائها روح التجارة الصحيحة في مجال الثقافة ؟.

أقول هذا وأنا أجهل ان الكتاب العربي — في كثير من الاحيان — يعامل معاملة المهربات ، ويحارب كما تحارب المهربات . ولكن هذا ليس السبب وحده ، فالعربي لا يعرف العربي من كل الوجوه ، والوجه الثقافي في مقدمتها .

لقد سألوني في تونس مرارا : ما رأيك في الادب التونسي وفي الاديب التونسي ؟ فكنت أقول لمن يسألني : وكيف تريد ان يكون لي رأي في ما أجهله ؟

غير ان زيارتي هذه الاخيرة لتونس اطلعتني على وجه ثقافي جميل لتونس ، تمنيت لو كان لدينا مثله في الاردن .

ولكنه كان علي ان اذهب بنفسي الى هناك ، لارى بعيني والمس بيدي ، ولولا ذلك ما كان لي ان اعرف شيئا عن حقيقة الحركة الادبية في تونس .

● ظـــلال :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الشرق الاوسط » مقالا بقلم الاستــاذ عبد الله الجفري في عددها الصادر يوم الاثنين 1 / 4 / 1985 ص 19 جاء فيــه مـا يـلي :

ما زلت في تونس لم أبرحها : أرؤمة وفكرا . وكلما زرت تونس أحرص ـ لا بد ـ أن التقي بـ « عريف » الثقافة فيها .. وزير الكلمة والابداع العربي في تونس العربية المسلمة : الاستاذ البشيـر بن سـلامه ، هو في الاعتبار الاول ـ يمثل هذه النافذة المضاءة التي تطل على العالم العربي بوجه تونس ، وبفكر عربي ، وبعقيدة اسلامية .

وهو ـ في الاعتبار الحميم ـ صديق قديم .. يملؤني ـ كلما التقيته ـ بمعاني صداقة الكلمة ، وبهذا التواصل الذي يرتفع بقيمة الوشائج ، وبعطاء الفهم والرؤية لهموم الثقافة العربية .

وفي مكتبه .. تحدثنا .. حين كنت ألمح سعادته وهو يحدثني عن أهمية الجسور الثقافية بين الاقطار العربية ، وقال في انطلاقة حديثــه :

ـ نحن في تونس جاهدنا كثيرا .. حاربنا الاستعمار الفرنسي وانتصرت الارض وانسانها ، لأن دفاعنا كان حقا ، ومن اجل العقيدة ، والانتماء والجذور والحرية ، وواجهنا بعد ذلك الحرب الاخرى ، وقـد بدت أكثـر شراسـة وخطورة .. لانها كانت تستهـدف عقيدتنـا ، وتعادي لغتنـا وعروبتنـا .. وتصدينـا لهذه الحرب الشرسـة بمخططـات التعريب ، وترسيـخ الثقافة العربيــة .

ـ واضاف : إن هذه الارض .. نمت فوقها حضارة قديمة ، وكافحـت وناضلت ضد ثقافات غربية ومقتحمة ووافدة : لوبية ، وجونية ، وورومانية ، وبيزنطية .. ثم كان الاستعمار الذي أراد أن يربطنـا بلغته وثقافتـه ليحول مسار التاريـخ !.

ـ قلت : في حوارنا نتشبث بأهمية الثقافة ودورها المرتبط بالتنمية ، ولا بد أن تتحقق للانسان العربي تلك الرابطة التي لا تفصله عـن ماضيــه ، وتحميه من ان يسقط في غربـة .

ـ قال : لقد تحدثت في « البحرين » أثناء زيـارة لي في « فبرايـر » عن السياسة الثقافية فـي تونس ، وركزت علـى « اثبات الـذات وتجذيـر

الشخصية ، وقلت : إن ادمية الفرد وانسانيته المتميزة تتحقق بواسطة تكوين الشخصية الاصلية ذات الجذور ، وهي التي تتكون من حلقات ثلاث : « الانا الماضي ، والانا الحاضر ، والانا المستقبل » ومن الخطورة أن يحدث تشقق في هذه الحلقات الثلاث .

ـ قلت : ولكننا نواجه خطورة الغزو الثقافي ؟

ـ قال : هذا صحيح .. لكن ثبات الشخصية في اطار تلك الحلقات الثلاث يجعلنا اكثر قدرة على التصدي لكل محاولات هذا الغزو ، وهذا التسلط على فكرنا ومبادئنا . وهناك أيضا ما نلح عليه من ضرورة اقامة الجسور الثقافية بين الاقطار العربية بخطط مستمرة ومتواصلة .

ـ قلت : بهذه المناسبة « علمت ان زيارتكم الاخيرة » للمملكة العربية السعودية كانت مثمرة جدا . فهل أحظى ببعض تفاصيلها ؟!.

ـ قال : بلا شك .. ولكن أهم تلك الثمرات ، كانت حصيلة للقائي بالامير « فيصل بن فهد » المسؤول عن رعاية الشباب والثقافة .. فقد اتفقنا على خطط مفيدة من شأنها أن تبنى العديد من جسور التعاون الثقافي بين بلدينا .. وقد وجهت دعوة لسمو الامير « فيصل بن فهد » لزيارة تونس ، وفي اتفاقنا المثمر والهادف اننا سنوقع على أوسع اتفاق ثقافي بين المملكة وتونس .. من شأنه ان ينطلق بالتعاون الثقافي الى مدى كبير ، يستفيد منه البلدان ، وينعكس على القضايا الثقافية الهامة المطلوب من الدول العربية ان تناقشها ، وان تواجه ما يكتنفنا فيها من تحديات وغزو ، وان نقيم قواعد راسخة .. اذا ما تلمسنا دور الثقافة في تواصل الامم ، وجهودنا هنا في تونس لخدمة قضية التعريب ، وجودكم في المملكة العربية السعودية لتأصيل الثقافة باعتبار رسوخ الارض وتلاحمها مع الحضارة قديما ، وعبر التاريخ الطويل .

ولعلني في مناسبة اضطلاع المملكة العربية السعودية بتنظيم مهرجان « التراث والثقافة » الذي رعته مؤسسة « الحرس الوطني » العسكرية ـ الثقافية .. امزج ابعاد حواري مع وزير الثقافة التونسي الاستاذ « البشير بن سلامه » عن بناء المزيد من الجسور الثقافية .. بهذا التوجه المهم من المملكة العربية السعودية نحو ما وصفه الاستاذ بن سلامة بـ « ضرورة المطالبة بتفجير المكاسب التراثية العربية ، والنهوض من خلالها للالتحاق بركب الحضارة !.

فالثقافة .. هي البلورة الحقيقية لهاجس ارساء التنمية الذاتية من واقع الانتماء ، وتعمقا مع الجذور الاصيلة . واستنهاضا للسعي نحو التطور الحضاري !.

وآخـر الكـلام :

ـ « إن الفصل بين المبـدع والمتلقـى الذى فرضته علينـا منهجيـة التحليل ، لا يمثـل فصلا فعليا ، بل همـا يلتقيان بالضرورة مـن منطلـق المواطنة عند مسؤولية مشتركة » !!.

● رحـل ... عميـد الصحـافة :

قبل يوم واحد من تكريمه من قبل وزارة الشؤون الثقافية بمناسبة تعيينه مستشارا ثقافيا لدى الوزارة ... ودع الهادى العبيدى الحياة بعـد أن عبـد الطريق الموصلة الى بلاط صاحبة الجلالة لكل الاجيال الحديثة ... رجل أفنى عمره خدمة للادب والفكر والفن وترك تراثا ثريا ، ومأثرة أخلاقية ... وروحـا ابداعيـا ...

مات الهادى العبيدى بعد مسيرة طويلة ومثيرة انطلقت من مقالات حبرها بجريدة « الصواب » فى أواخر العشرينات وانتهت برئاسة تحرير جريـدة « الصبـاح » مرورا بتأسيس جريدتى « الصريـح » فى أواخـر الاربعينـات و « الفرززو » فى منتصف الخمسينات .

مات الهادى العبيدى ... رجل الصحافة والفكر والفـن ... فنعته وزارة الشؤون الثقافية ، وجمعية الصحافيين ... وشارك وزيرا الشؤون الثقافية والاعلام فى تأبينه اعترافا له بجليل أعماله الفكرية ومآثره الاخلاقية .

● تحف ومخطوطات اسلامية فى المزاد العلنى :

وضعت « دار سوذبي » للمـزادات العلنيـة فى لنـدن عشـرات التحـف والمخطوطات الاسلامية للبيع بالمزاد العلنى « مخطوطات ، منمنمات شـرقية دقيقة ، عملات اسلامية ، أشغال فنية اسلامية من بينها الاقمشة والسجاجيد » وذلك فى الفترة الفاصلة بين 15و17 أفريل 1985 ... وتؤكد مصادر «السوق» التى عرضت فيها التحف والمخطوطات الاسلامية المذكورة .. ان الاقبال كان شديدا من قبل المؤسسات والاشخاص الراغبين فى الاحتفـاظ بمثـل هـذه المواد التاريخية والحضارية الهامة .

● آثـار هامة بامارة راس الخيمة :

عثر فريق ألمانى مكلف بالتنقيب عن الآثـار بامارة راس الخيمة ، على ثلاثة مواقع أثرية جديدة تحوي العديد من الاوانى الفخارية وبقايا عظام أشخاص..

وقد نسب علماء الآثار هذا الكشف الاثرى الهام الى الحقبة الثانية قبل الميلاد، ومن ألمنتظر أن يشهد مؤتمر الآثـار السنوى بالدانمارك عرض هذه الآثـار خلال عام 1985 .

● « عائشه » ... فى وكالة أنباء الشرق الاوسط :

ورد بالنشرية الصادرة عن وكالة أنباء الشرق الاوسط « الثقافة والفنون » يوم الخميس 14 مارس 1985 تعليق أدبي عن رواية « عائشه » للبشير بن سلامه جاء تحت عنوان « البشير بن سلامه » و « عائشه » و « الحس العربى الأصيل » يقول الكاتب خاصة فى مقدمة مقاله الممتد على مساحة اربع صفحات :

عائشه ، رواية الاديب التونسى البشير بن سلامه ، من ذلك النوع الذى يأخذك من أول صفحة لآخر صفحة ، لتقرأها فى جلسة واحدة لا يستطيع أى شيء حولك استقطابك بعيدا عنها » ويختتم تعليقه بقوله : « ... وفى أدبنا العربى الحديث قلما نجد عملا يحمل بصمات بيئة كاتبه ، ولكن « عائشه » هى تونس بعمارتها العربية الجميلة وأزياء نسائها ، ولكن مضمونها وسلبياتها ترجع الى ما قبل الاستقلال » .

● مجمع اللغة العربية وتعريب التعليم :

أنهى مجمع اللغة العربية مؤتمره الحادى والخمسين فى شهر مارس الفارط وخصص أغلب جلساته لدراسة قضية التعريب والمحافظة على اللغة العربية .

وفى خاتمة اجتماعات المجمع صدرت توصيات أكدت خاصة على :

1) ضرورة العمل على تعريب التعليم فى جميع مراحله ولا سيما مرحلة التعليم العالى والجامعى .

2) ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ومتابعة الجهود التى يقوم بها اتحاد المجامع العلمية فى هذا المضمار .

3) أهمية التوسع فى وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغة العربية مع ما يقابلها بالانجليزية والفرنسية .

4) الحاجة الى انشاء هيئات علمية خاصة فى كل قطر عربى تقوم بترجمة أمهات الكتب العلمية القديمة والمعاصرة فى مختلف اللغات والتخصصات .

● مصر تحيي ذكرى المفكر عباس محمود العقاد :

كان شهر مارس الفارط موعدا لاحياء ذكرى الكاتب المفكر عباس محمود العقاد.. شاركت الاندية الادبية والمحافظات والجامعات فى احياء هذه الذكرى..

وانتظمت بالقاهرة كظاهرة ثقافية كبرى بـ (النادى العربى العقيلي) حيث شارك عدد كبير من أدباء مصر والعالم العربى فى تخليد مآثر الكاتب عباس محمود العقاد .

وقد ألقى الكاتب التونسى رشيد الذوادى كلمة فى هذه الندوة حيى فيها روح عباس محمود العقاد ، وعدد جوانب الخصوبة فى شخصيته واشاد أيضا بمواقفه السياسية الجريئة وباسهاماته فى مجال تدوين (عبقريات عظماء الاسلام) .

كما تعرض الى معارك العقاد الادبية مع : د. طه حسين ، و د. زكي مبارك ، والرافعى وغيرهم .

● كتابات عن الادباء التونسيين بمجلات مصر :

تتوارد علينا فى الاسابيع الاخيرة بعض الكتابات عن الادب التونسى والادباء التونسيين ومن بينها كتابات الدكتور صلاح عدس عن الادباء : محمد مزالى ، والبشير بن سلامه فى مجلة (الاذاعة والتلفزيون) المصرية .

كما نشر كل من الدكتور مختار الوكيل ، و د. مدحت الجيار ، والاستاذ حسني سيد لبيب فصولا عن أدبائنا فى الصحف المصرية والدوريات العربية منها (الجمهورية) و (الاهرام) و (القافلة) .

وتقوم د. فريدة أحمد المشرفة على نشرة « ثقافة وفنون » التى تصدرها وكالة الشرق الاوسط للانباء بالتعريف بالكتب التونسية ونشرت فى هذا الشأن فصولا عن : الاستاذ محمد مزالى والبشير بن سلامه ومحمد العروسى المطوي والصادق شرف ورشيد الذوادي ومصطفى الفارسي وتتولى الاستاذة كريمة مبارك ابنة الاديب زكي مبارك تغطية الكثير من البرامج الادبية بمعومات ودراسات عن الكتب التونسية فى اذاعتى (الشعب) ، و (صوت العرب) .

كما نشرت مجلة (فصول) دراسات لأدباء تونسيين من بينها : دراسة للاستاذ توفيق بكار وأخرى للاستاذ الهادى الطرابسى وستنشر مجلة « القاهرة » قريبا دراسة عن (المسرح التونسى) كتبها د. جفر ماجد .

● دعوات لبعض الكتاب من طرف (رابطة الادب الحديث) بالقاهرة :

وجه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة دعوتين الى الكاتبين : محمد العروسى المطوى والجيلانى ابن الحاج يحيى لالقاء محاضرات فى (رابطة الادب الحديث) .

● الأديب عمر بن سالم يتحدث عن الرواية التونسية :

إبان تواجده بالقاهرة التقى الاديب د. عمر بن سالم برواد (آتلي القاهرة) وتحدث اليهم عن أعماله الروائية وعن الرواية التونسية بوجه عام.

● **تكريم الشاعر الكبير عامر بحيري :**

أقامت (رابطة الادب الحديث بالقاهرة) تظاهرة ثقافية بنقابة الصحافيين بالقاهرة كرمت فيها الشاعر الكبير عامر بحيري بمناسبة بلوغه الثمانين عاما وتحدث فى هذه الامسية عدد كبير من أدباء مصر والسودان عن جولات هذا الشاعر فى مجال الكلمة المسؤولة ، كما ألقى الاديب التونسي رشيد الذوادي كلمة تحدث فيها عن (ديوان عامر) الصادر أخيرا وقيم فى كلمته هذه الديوان من حيث الشكل والمضامين ، كما تبارى الشعراء فى هذا الحفل وخلد كل منهم نضالات عامر بحيري واسهاماته فى مجال : (الملاحم الشعرية) و (ترجمات شكسبير) و (الدراسات النقدية) .

● **الصادق شرف وعشق الوطن فى أبناء الشرق الاوسط :**

أوردت النشرية الاخبارية لوكالة أنباء الشرق الاوسط « الثقافة والفنون » فى عددها الصادر بتاريخ 31 جانفى 1985 تعليقا على ثلاثة دواوين للشاعر التونسى الصادق شرف (أبو وجدان) « حروف تجر الفعل الماضى » و « بحجم الحب أكون » و « شواطىء العطش » مؤكدة ان هذا الشاعر : « من القلائل (...) مثل محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد من فلسطين وغيرهم من الذين كتبوا عن الوطن ، فكتبوا عن الحب الحقيقى ، الذى لا يعرف الانتهاء ، وعن الشوق الدائم الظامىء بلا ارتواء كتبوا فجاءت كلماتهم رقيقة ناعمة ، كنبض قلوبهم العاشقة ، تنساب فى ثناياها ناعمة ، هادرة بقدر حبهم الكبير لمعشوقتهم التى سكنت قلوبهم ، والى الابد » ، وقد استدلت على ذلك الحب الكبير بأن أوردت مقطعا لأبى وجدان من قصيدة : « أحبك تونس .. والحب ديني » جاء فيه ما يلى :

أحبك تونس حتى انقطاع النخاع ،
وكم استلذ صراعى مع الريح والموج !
انى السفين بدون شراع
أحبك تونس ، لا تستميل فؤادى اكثر مما املته
انى لاخشى بقائى بغير فؤاد
احبك تونس والحب دينى
وليس على الارض كالحب ابقى ..
هو الحب يبقى طريق اليقين